محنة العقل في الأسـلام

مصطفى جحا

١٤٠٢هجري – ١٩٨٢م

مقدمة الطبعة الأولى

موضوع آخر بعد (الخميني يغتال زرادشت) ، راودني هذا العام علي كتابته ، ولم يكن لي من عذر يرفع عني اللوم والتثريب.
وإذ أنا حيران في أمري غشى بصري ، وسرق مني النور والنهار ، فكما الذي جهل وجه الصواب . او فقد الحس والحركة رأيتني أحمل "محنة العقل في الإسلام" إلى المطبعة . ولا أدري كيف أخذته مني تلك الآلة الغربية التي لا تشبع ولا ترتوي . وجل ما علق في الزاكرة انني غسلت هناك جسدي . من كل ما يسيل من جلود أهل النار ولحومهم ودمائهم وصديدهم .

- لماذا "محنة العقل في الإسلام" ؟
- هل يعترف المسلمون – وأنا منهم – بأن عقلهم في محنة أو بلية ؟

سؤال ، أو بالأحرى سؤالان ، طرحتهما على نفسي منذ سنوات خلت ولما تعثر الجواب انطلقت أبحث بين كتب السير والحديث وما اتصل بي من أخبار ، ومراجع ، ودراسات ، وأبحاث من مصادر شتى ، فتبدد بعض السحب ، وأشع ما يسترق النظر ، مما شدني إليه ، فبقيت أتأمله ، وألاحقه بعينين مسهدتين ، وفكر قلق ملتاع ، إلى أن أنسني ، وصار لي حبيبا وأنيسا ، فأسكنته القلب ، ولما استقر طلب العقل فبذلته له حبا وسلاما.
إذ ذاك جاءني الرد على السؤال المركب الذي طالما أرقني وأتعبني ، فلا بشرني بالأمر المفرح ولا ردني من غربتي وحيرتي !

يشغل العقل الإسلامي من الأرض وسيعة تمتد أبعد من المحيط إلى الخليج . ويمشي على الخزف . جذوره في مكان وهو في مكان آخر . "العالم الثالث " مسرحه . لم يغادر العقل الإسلامي هذه المنزلة إلى الآن ، لقد أعجبه المناخ كما يبدو .

تحت الخزف رمل . تحت الرمل تراب . تحت التراب ماء . تحت الماء رمل. تحته البترول . تحت البترول ماء. تحت الماء صخر . تحت الصخر كلس . تحت الكلس جذور العقل الإسلامي ... العربي .

مكة تربض على مجد تليد مستمر . الأسد على فريسته والعقل العربي (الإسلامي) تفترسه الأرانب !

مكة المجنونة بالإيمان أدهشتني .
لا تقلني الطائرة إلى هناك .
مكة ... لا تستقبل كفار العقول !
طبقات طبقات تفصلني عن مكة هي فوق وأنا تحت .
هي لديها مفاتيح السماء ، وعندها الزيت والنار .
وأنا أتضوأ لأرى العقل الذي في ضوء النار. لأنظر كيف الوصول إلى جذور هذا العقل .

مكة لا تستقبل الكفار !
وأنا مشدود إليها من شفتي ومشدود إليها من قلبي وأذني .
ناصيتي أحرقها وكيل الرحمن الرحيم .
من ياخذني إلى مكة المعلقة بين الأرض والسماء ؟
لا تخافوا على الحجر الأسود ! لست قرمطيا [1]
الكتب قالت : ما تبحث عنه تلقاه في سفح جبل حراء وظهر الكعبة وأسواق مكة العتيقة ، وربما على مداخلها .
سألت : وأني لي ذلك وأنا ممنوع علي الدخول؟
عادت الكتب تقول : إنه تراث عظيم إحياؤه ، مثلما يجب ، يفرض عليك أن تتقمص النبي محمدا بن عبد اللة . عنده العقل الإسلامي وحكايته وجذوره . لكن عندما قبض النبي ((قطف)) الذين كان لهم الشأن هذا العقل ، وبنوا له عرشا مكينا . أما الجذور فتركوها تغوص في الصحراء الجدباء لأعتقادهم بأنها لابد مندثرة . غير أن هذا العمل الذي نطالبك به هو خطير جدا بل مغامرة غير مضمونة العائدة .
يجب أن أتقمص محمدا ؟!
مسألة رهيبة .

---

[1] القرامطة ك حركة دينية سياسية اجتماعية انقرضت واتباعها . حقيقتها لا تزال على كثير من الغموض . ينسبها المؤرخون الى الباطني الخوزستاني حمدان قرمط ، الذي أقام في سواد الكوفة (٢٥٨ه ٠ ٨٧١م) وباني دار الهجرة مقاما له كان يؤمه أتباعه وأشياعه . واظهر هذه الحركة قوية في البحرين أبو سعيد الحسن بن بهرام ثم سيطرت على كثير من البلاد الإسلامية . استولوا على مكة ٩٣٠ م ونقلوا منها الحجر الأسود ثم ردوه بعد اثنتين وعشرين عاما . انتزعوا دمشق من الفاطميين . وزحفوا اليهم في مصر فهزمهم المعز الفاطمي سنة ٩٧٢م . انتهى امر "القرامطة" على ايدي العيونيين في البحرين سنة ١٠٢٧م . كانت هذه الحركة تدعو إلى العدل والمساواة.

هل أنت مجنون ؟

رجعت ثانية إلى الكتب شاحب الوجه كاسف البال كئيبا مرتبكا كأن جلادا من زبانية الأمويين او العباسيين يسوقني أمامه إلى حيث تشهد الحرية مصرعها على سياط الجلادين الظالمين .
الكتب تصر على أن أتقمص محمدا ؟!
حاولت أن أتخلص ، رجعت أستعرض الأسماء والشخصيات ممن رافقوا النبي :
القس ورقة بن نوفل ، أبو طالب، أبو بكر، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان ، أبو سيفان ، أبو جهل ، أبو لهب ، حمزة بن عبد المطلب ، عبيد اللة بن جحش[2]، بلال الحبشي، عثمان بن الحويرث ، زيد بن عمرو بن نفيل ، علي بن أبي طالب ، عبد اللة بن الأرقم ، الحارث بن أبي ضرار ، سلمان الفارسي ، أبو ذر الغفاري، الزبير بن العوام ، عبد الرحمن بن عوف ، جعفر بن أبي طالب ، زيد بن حارثة بن شراحبيل بن كعب[3].
وكرت الأسماء كلها فاختلطت علي الأمور .

---

[2] نصراني من مكة ، ابن عمة النبي . من السابقين الأولين للإسلام . هاجر إلى الحبشة ومعه زوجته (أم حبيبة) . في الحبشة ارتد إلى النصرانية اذ بهره مجد المسيحية هناك ز استأثر النبي بزوجته (ام حبيبة) بنت ابي سفيان وكانت العاشرة في قائمة أزواجه ، توفي عبيد اللة في الحبشة نصرانيا .

[3] هو من بني زيد اللات خرجت به أمه "سعدى بنت ثعلبة" لتزيره أهلها بني معن بن طيء ، فأصابته خيل من بني القين بن جسر ، فباعوه بسوق من أسواق العرب ، وكان حكيم بن حزام هو الذي اشتراه وجاءت خديجة – وهي يومئذ زوجة محمد بن عبد اللة – تزور ابن أخيها ، فعزم عليها أن تختار من شاءت من الغلمان فأخذت زيدا وعادت به لى بيتها ورآه النبي فاستوهبه منها فوهبته راضية . ودعى الغلام زيد بن محمد . وعندما هاجر الرسول إلى المدينة آخى بين صحبه ، كان زيد وحمزة عم الرسول أخوين.
وحين بلغ زيد سن الزواج أختار له الرسول زينب بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب . حاولت زينب الرفض فحدثها النبي عن مكانة زيد منه ومن الإسلام ، وعن أصله العربي النقي ، فنزلت زينب عند رغبته ، وما كانت تعلم أنها بقيت في رغبته .
بعد فترة من زواج زينب (الشريفة ؟) وزيد (الغلام – المولى) أخذت تتعظم عليه لشرفها وتؤذيه بلسانها زز حتى هجرته وحملته على الطلاق . وأحس محمد عطفا غلابا على الشابة التي قال فيها لما رآها حاسرة "سبحان اللة العطيم ، سبحان اللة مصرف القلوب" وشاء اللة أن يزوج رسوله محمدا من زينب (بنت جحش) فانزل اليه "من وحي السماء" الآية التالية :
" وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا " (الأحزاب ٣٧) وهكذا استعادها النبي من ابنه زيد وأدخلت في سلك نساءه ، أما زيد المسكين فقد عقد له النبي لواء غزوة موته وقتل في المعركة .

تمنيت لو أتقمص عبيد اللة بن جحش أو زيدا ابن حارثة . لقد أوجعني الظلم الذي وقع عليهما . لكن الكتب أبت علي ذلك . وإذا أنا مسكون بالنبي محمد . في كل جارحة من جوارحي سكن محمد الذي حصل لنفسه مكانة عند الذين آمنوا به ، لم تعط لإنسان بعد.

***

لقد أذعنت لإلحاح الكتب وتقمصت محمدا فظهرت لي سيرته منذ طفولته وحتى يوم وفاته ، غنية بالأحداث والظواهر والمفاجىت ومثقلة بالهموم والأحزان والوساوس والعقد النفسية ، والضطرابات العاطفية والكبت والحرمان والأوجاع العصبية ، والسهر على تحصيل العلم بالكتاب والثقافات الدينية . وهذه قد تفاعلت جميعها في نفسه وقلبه وعقله مثلما تفاعل هو مع مجتمعه ، فكان معجزة الجزيرة التي ملأت أصداؤها العالم ، وكان النبي ، والمجنون بالعظمة والدكتاتور الحاكم المطلق . إذ كان "أولى بالمؤمنين من أنفسهم " [٤]

تقمصت النبي الي جمع تناقضات الجزيرة كلها فدلتني على جذور العقل الإسلامي ... العربي . وحرضني على كتابة "مكة في تاريخها الصحيح " فكان له ما أراد – أرجو أن أكون قد وفقت إلى ذلك – ثم كانت الفصول الأخرى من هذا الكتاب.

***

في مكان ما لا هو في السماء ولا هو في الأرض ألفيت محمدا جالسا ورأسه بين يديه . الحزن لم يفارق هذا الرجل العظيم منذ ولادته وإلى اليوم وربما لن يفارقه إلى الأبد .

تحسه متندما على ما فعل ، يحتله الأسف الشديد والأسى ، نسي كل شيء عدا كلمته المشهورة : "بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء " [٥]

---

[4] الأحزاب :٦.

[5] خرجة مسلم والأمام أحمد وابن ماجه.

هذه الكلمة الممزوجة بالمرارة والألم والشعور بالخطا دائمة على فمه .
محمد في غربة يعذبه الحنين إلى الأرض .
لكي يعود محمد إلى الأرض ينبغي للعقل الإسلامي أن يرتد إلى جذوره .

سألته عن أمته .
قال : إنها لفي ضلال مبين ز مزقتها الأهواء والسياسات والحقاد ، رغم "أنها خير أمة أخرجت للناس" .

***

محمد النبي ، يبحث عن ورقة بن نوفل وبحيرا وعبيد اللة بن جحش وزيد بن حارثة وعلى بن أبي طالب وفاطمة ابنته[٦] ، فلا يجد منهم أحدا .
محمد في مكانه المعلق ، لا نساء حوله ولا صديقين ، ولا غلمان ولا حور عين.
محمد ناقم على عائشة ، قاهرته وقاتلة ولي عهده : إبراهيم [٧]
محمد لا يزال يخاف عمر بن الخطاب .

---

[6] ترك النبي عند وفاته أموالا خاصة به ، كما كان في حياته قد وهب ابنته فاطمه (لا يوجد كتاب من محمد ينص على ذلك) بعض الأرض لتكون مورد رزق لأسرتها ، وكان أهم ما تركه مزرعة "فدك" التي كانت ملكا له (صالحه أهلها عليها ، أو على نصفها بعد حرب خيبر) فلما توفى النبي طلبت فاطمة ميراثها من رسول اللة فروى ابو بكر عن النبي انه قال : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة . ثم أن فاطمة طلبت ما وهبها اياه رسول اللة وقالت انه وهبها "فدكا" فطلب مناه البينة فشهد لها علي وأم أيمن فرفض ابو بكر قبول شهادتهما . وبقيت "فدك" في يد الخليفة الأول ثم في يد الخليفة الثاني ثم في يد الخليفة الثالث ثم اقطعها الخليفة الثالث لمروان بن الحكم فوهبها مروان لوالديه عبد الملك وعبد العزيز . وفي خطبة لها وجهتها الى الحاضرين ، عندما صودرت اموالها وحرمت من ميراثها ، تقول : "وأنتم الآن تزعمون ان لا ارث لي من ابي ... ايها المسلمون اغلب على ارثي ، يا ابن ابي قحافة (تقصد ابي بكر) افي كتاب اللة ان ترث اباك ولا ارث أبي ؟ " (دائرة المعارف الشيعية – حسن الأمين- المجلد الأول الجزء الثاني ، الطبعة الثانية ، دار التعارف للمطبوعات ص ٦-٧-٨-٩).

[7] عندما بعث المقوقس عظيم القبط بمارية واختها سيرين هدية إلى النبي اختار النبي مارية فتزوجها ، عن هذه السيدة القبطية التي انجبت له ولده ابراهيم (مات وهو ابن سنتين) تقول عائشة: "ما غرت على امرأة الا دون ما غرت على مارية وذلك انها كانت جميلة جعدة ، فأعجب بها رسول اللة وكان انزلها اول ما قدم بها في بيت لحارثة ابن النعمان ، فكانت جارتنا ، فكان عامة الليل والنهار عندها ... فجزعت ، فحولها الى العالية ، وكان يختلف اليها هناك ن فكان ذلك أشد علينا ، ثم رزقه اللة منها الولد وحرمناه منه " (السمط الثمين : ص ١٤٠ . بنت الشاطيء : ص ٢٠١)

بعد حديث طويل تركته يردد : "بدأ الإسـلام غريبـا وسـيعود غريبـا ".

ماذا تقول مكة ؟
ماذا يقول العرب ؟
ماذا يقول المسلمون؟
لست أدري .

مصطفى جحا
بيروت في ٣١ كانون الأول ١٩٨٠

"كل بلاد حرة يجب أن تمرن أبناءها على التفكير وتشجعهم على البحث والمناقشة ، وان تطلق لهم حريتهم ليرتئي كل منهم الرأي الذي يعتقد صحته ، والمعلم المستبد بآرائه ، المتعصب لها ، ينشئ طلبة جامدين ، والدولة التي تجري على نظام تعليمي هذا أساسه امة تهمل الحرية الفكرية اللازمة للأرتقاء "

سدني هكسن
استاذ علم الحيوان في جامعة منشستر (عام ١٩٢٥)

الفصل الأول

مكة في تاريخها الصحيح
(٥٧٠-٦٣٢م)

"بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا ،
كما بدأ ، فطوبى للغرباء "
محمد بن عبد اللة

القسم الأول

نبوة محمد على المحك
(بحث في دوافع النبي)

((ان معرفة الإنسان دوافع غيره من الناس تحمله على التسامح ورحابة الصدر واقامة علاقات انسانية أفضل بينه وبينهم.
يضاف إلى هذا ان جهل الإنسان بدوافعه الخاصة مصدر لكثير من متاعبه ومشاكله ومعتقداته الباطلة واندفعاته وازماته النفسية.
بل أن كثيرا من ألوان السخط والشقاء فيما يكابده الإنسان يرجع إلى انه لا يعرف ما يريد.
... والدوافع حالات وقوى لا نلاحظها مباشرة بل نستنتجها من الأتجاه العام للسلوك الصادر عنها.
مثلنا كمثل عالم الطبيعة لا يلاحظ ظواهر مختلفة تشترك كلها في صفة واحدة هي النزعة الى التحرك نحو مركز الأرض ...))[٨]

تمهيد :

[8] أصول علم النفس ، المكتب المصري الحديث ، طبعة (٨) ١٩٧٠ ، ص٧٢-٧٣

يقول الشاعر الفرنسي لامارتين[٩] : ((إن حياة مثل حياة محمد وقوة كقوة تأمله وتفكيره وجهاده ووثبته على خرافات أمته وجاهلية شعبه ، وشدة بأسه في لقاء ما لقبه من عبده الأوثان ، وإيمانه بالظفر ، وإعلاء كلمته ورباطة جأشه لتثبيت أركان العقيدة الإسلامية . إن كل ذلك ، أدله على أنه لم يكن يضمر خداعا أو يعيش على باطل ، فهو فيلسوف وخطيب ورسول ، ومشرع وهادي الإنسان إلى العقل ، وناشر العقائد المعقولة الموافقة للذهن واللب، ومؤسس دين لا فرية فيه ، ولا صور ولا رقيات ، ومنشيء عشرين دولة في الأرض ، وفاتح دولة روحية في السماء وتمتلئ بها الأفئدة ، فأي رجل أدرك من العظمة الإنسانية مثل ما أدرك ، وأي إنسان بلغ من مراتب الكمال مثل ما بلغ))[١٠]

ويقول ويل ديوانت [١١] : ((...وإذا حكمنا على العظمة بما كان لعظيم من أثر في الناس ، قلنا أن محمدا كان من أعظم عظماء التاريخ فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء ، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحا لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله ، وقل أن نجد إنسانا غيره حقق كل ما كان يحلم به ، واستطاع في جيل واحد أن ينشيء دولة عظيمة ، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم))[١٢]

وفي دائرة المعارف البريطانية قيل تحت مادة محمد : ((محمد بن عبد اللة مؤسس الدين الإسلامي – ولد في مكة عام ٥٧٠ [١٣] ميلادية ومات عام ٦٣٢.

---

[9] لامارتين (الفونس دي) (١٧٩٠-١٨٦٩) من مشاهير الشعراء الفرنسيين وزعيم الحركة الرومنطيقية . زار الشرق وشغف به . من مؤلفاته الشعرية : ((التأملات)) . ((جوسلين)) . والنثرية ((رحلة إلى الشرق)).

[10] خرجه المهندس زكريا هاشم زكريا : المسنشرقون والأسلام ص ٢٧٢. انظر كتاب أحمد السيد ((محمد نبي الأنسانية)) دار الشروق ، ص ٧٦.

[11] ديورانت ويل (١٨٨٥ -) مؤلف امريكي . صاحب ((قصة الحضارة)) . استهدف في آثاره تبسيط التاريخ والفلسفة .

[12] قصة الحضارة – ترجمة محمد بدران – الجزء الثاني – المجلد الرابع – ص ٦.

[13] المحقق تاريخيا أنه ولد يوم الأثنين ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ (التقويم العربي ، ص ٤٤) .
ومن جهتي لن أتمسك ولا برأي من هذين ، ولا سيما أن (النبي) قد ولد ونشأ في بيئة لم تكن تقيد تاريخ الميلاد . ويكفي أن يكون وحده اللة العليم بذلك . فاسم محمد في اللوح المسطور من قبل أن يولد آدم ، ((شهادة ميلاد)) تدحض كل شهادة ! والذي يعرف متى ولد آدم يعرف متى ولد محمد .

((وقليلون هم الرجال الذين أحدثوا في البشرية الأثر العميق الدائم الذي أحدثه محمد. لقد أحدث أثرا دينيا عميقا لا يزال منذ دعا إليه حتى الآن هو الإيمان الحي والشريعة المتبعة لأكثر من سبع سكان العالم.
على أن أثره التاريخي يبدو بالأكثر عندما نذكر أنه في أقل من عشرين سنة مذ بدأ دعوته قوض دعائم أمبراطوريتين عتيدتين وهما الأمبراطورية البيزنطية والأمبراطورية الفارسية ، مؤسسا على أنقاضهما حضارة جديدة.
((ولقد أرسى مذ جاء بدعوته التي هي عقيدة وشريعة قواعد بناء المجتمع الأجتماعية والسياسية ، وقد أعقب موته ، أن سجل خلفاؤه الأحادديث التي رويت عنه . وأدق التصرفات والأفعال التي قام بها ، فاتخذ المؤمنون من هذه الأحاديث نبراسا ومثلا أعلى يحتذونه في حياتهم اليومية جيلا بعد جيل)) [١٤]
وجاء في كتاب ((مختصر تاريخ الإنسانية)) لمؤلفه ه.ج.ويلز [١٥] :
كان يمكن لأي متنبئ تاريخي يستعرض حياة بشر في مستهل القرن السابع الميلادي ، أن يتوقع بحق أنه لن تمضي بضعة قرون حتى تقع كل أوروبا وآسيا تحت سيادة المغول والتتار فلم يكن في أوروبا الغربية أي إشارة تدل على إمكان قيام النظام فضلا عن الوحدة ، والأمبراطوريتان البيزنطية والفارسية كانتا في طريقهما نحو الأنحلال والدمار .
((ولكن هذا المتنبئ كان سيخطئ في تقديره ، فقد اشتعلت دنيا الصحراء والبدو بمائة عام من المجد عندما بسط العرب سلطانهم ومدوا حكمهم ولغتهم من اسبانيا إلى حدود الصين ، مقدمين للعالم ثقافة جديدة ، ومنشئين دينا لا يزال حتى اليوم أحد القوى الحيوية في العالم.
((وكان محمد بن عبد اللة هو الذي أشعل الجزيرة العربية ودفعها لتحقيق ذلك كله والذي ظل حتى سن الأربعين لا يميز نفسه بشيء غير عادي عن بقية معاصريه))[١٦]
لن نأتي على كل ما قاله المفكرون والمؤرخون الغربيون في محمد بن عبد اللة بن عبد المطلب فهؤلاء كثيرون حقا .

---

[14] أحمد السيد : محمد نبي الإنسانية ، دار الشروق ص٧٢.

[15] ويلز هربرت جورج (١٨٦٦-١٩٤٦) : روائي ومؤلف انكليزي يعتبر أحد أبرز كتاب الرواية العلمية . ومن أهم أعماله : The outline of history (1920) a story of the development of the human race.

[16] خرجه أحمد السيد في ((محمد نبي الأنسانية)) المصدر نفسه ص ٧٣.

وموضوعنا لا يسمح بالذهاب إلى أبعد من ذلك ، على أن إعجاب الغربي بعظيم من الشرق ، أو بالعكس هو – عندنا – أمر غير مستغرب . فالعلم أو الفكر أو الفلسفة أو الأدب وإن كان صادرا عن شعب معين ، هو أصلا ، ملك لمن يريد الأطلاع عليه أو يطلبه مهما اختلفت جنسية هذا الطالب أو عقيدته.

يتيم مكة :

محمد يتيم مكة الجدباء التي لا زرع فيها ولا نخيل ، الفقيرة ، القليلة مواردها (ولا بترول يومذاك) الشحيحة مياهها بل النادرة ، اللاهبة الحر ، الصعبة المعاش ، المعتمدة على الخارج لدرء خطر الجوع والموت عنها [١٧] نشأ لا كما عامة الأطفال في هذه الصحراء البعيدة المهملة . مات أبوه وهو لا يزال في بطن أمه .
أرهق الحزن آمنة ، إثر وفاة زوجها عبد اللة وجف ثديها . ثويبة ، مولاة أبي لهب ، لقمته ثديها ، لبضعة أيام ، ((من هذا الرضاع ، ربطت محمدا بمسروح – ابن ثويبة – بآصرة الأخوة)) [١٨]. قبل ((الأخوين)) مسروح ومحمد ، تلقم حمزة [١٩] الثدي نفسه . ثويبة سلمته إلى حليمة السعدية [٢٠] في البادية ، لترضعه سنتين مع ابنها عبد اللة . أعيد إلى أمه وهو ابن ست سنوات ، فحملته من مكة إلى المدينة لزيارة قبر أبيه وأخواله (من بني زهرة) . ماتت آمنة (٥٧٦م) ولما يبلغ محمد الثامنة . احتملت الفتى أم أيمن إلى جده عبد المطلب ، فكفله وتعهده حتى التحق بابنه عبد اللة عن عمر يناهز الثمانين . مات جده فكفله من بعده عمه أبو طالب (والد علي) .

الطفولة المعقدة :

[17] يقول الأستاذ سليمان كتاني في كتابه (محمد شاطئ وسحاب) : ((ولد محمد في مكة ، يوم كانت مكة تعجن الطحين من كل غبار يتطاير من زحف اقدام الحجاج الى حرم الكعبة ، يوم كانت تتلمس بركة قطيع من الأصنام المشرورة حول هذه الجدران ، يوم كانت تنام صديانة (شديدة العطش) : تنتظر رجوع النوق من رحلاتها إلى الشام والعراق ، لتأخذ من حليبها المنهوك جرعة ري)) ص ٣١

[18] سليمان كتاني : محمد شاطئ وسحاب ، مكتب الدراسات العلمية ، بيت الشعار ، المتن لبنان ، ط ١٩٧٠، ص ٣٢

[19] حمزة بن عبد المطلب (ت٣هـ – ٦٢٥م) عم النبي . من سادات قريش في الجاهلية وصدر الأسلام . قاتل في بدر واستشهد في أحد .

[20] هي حليمة بنت أبي ذؤيب : من بني سعد بن بكر . مرضع النبي بضع سنين . آمنت برسالته بعد مبعثه . تعد صحابيه.

في طفولة محمد ، أذن ، أربع نساء ((أمهات)) وربما أكثر ورجـلان ((أبوان)) عذا الأب الطبيعي ، وثلاثة ((شركاء)) بالرضاعة ، مـنهم عمه أخو أبيه .
يتفق المؤرخون على أن ((أبو طالب)) كان يحدب على ابـن أخيـه حد فيه من الحنان بقدر ما فيه من التخـوف. ((وكـان يخـاف عليـه يدا آثمه أو حدثا مباغتا ، فعمد – بـوحي مـن هـذا التخـوف – إلـى كل تحسب من أي شيء يرتقب [٢١]. لقـد كـان يسـحب فتـاه هـذا مـن نومـه مسـتبدلا بـه ابنـه عليـه ، زيـادة فـي الأطمئنـان عليـه وتدليلا على وسواسه الدائم ، وتحسبه المفرط))[٢٢]
"ولم يكن أبو طالب يطيق البتعاد عنه (محمد) وهو يلبي نداء الرحيل على ظهور القوافل الميممة خطوط الشام . لهذا جعله في صحبته ، ولو جشمه العناء الطويل ، في رحلة من هذه الرحلات "[٢٣]
لماذا ؟؟
هل كان يبدو على محمد مرض غير عادي ؟
يجب أن يكون في الأمر سر.
مم كان يتألم محمد ؟ من الكبت الشديد؟ أم مـن الشـعور بـالغبن واليتم والحرمان ؟

ألم يلاحظ أبو طالب أن ابن أخيه كان يؤثر الوحدة والغربة ، ويشـده مكان ما ، ويحن إلى الجلوس مع أحد من الناس؟
إن الذي يعيش طفولة معقدة مثل طفولة محمد يتعرض إلى أنواع شـتى مـن الشـذوذ النفسـي ، ويضـطرب ، وتتملكـه المخـاوف والوسـاوس فيقلق ويغترب عـن أهلـه وذويـه . وربمـا انحـرف عقـل محمد وسلوكه ، تحت تأثير الحزن واليأس العميقين الكامنين فـي نفسـه . والخـوف مـن المجتمـع ، المجتمـع المكـي، الـذي غزتـه التيارات والمذاهب المتضاربة المتطاحنة ، كما غـزاه التجـار وأربـاب المال والمستثمرون والمستهلكون ، الذين جعلوا من مكة عاصمة الجزيرة آنذاك ، والمركز الرئيسي الذي تجتمع إليـه سـائر القـرى . مع العلم بأن مكة تقع في منتصف الطريـق التجـاري الممتـد بـين

[21] من الذي أوحى الى ابو طالب ان يكون شديد الحرص على ابن أخيه ؟ وممن كان يخاف عليه ؟ من حزب جديد ؟ أم من زعيم طاعن بالسن يبحث عن خليفة له ؟
[22] سليمان الكتاني ، المصدر السابق، ص ٣٦.
[23] المصدر نفسه .

اليمن صاحبة اليمن والخيرات وبين بلاد الشام سوق الأستهلاك الكبير.[٢٤]

لقد رأى الصبي ، محمد ، لا شك ، أثرياء اليمن والشام . وشاهد الأموال والبضائع يتداولها اليمنيون والشوام فيما الطبقة الفقيرة من أهل مكة ، وهو منها ، تزداد فقرا وبؤسا وشقاء. هذا ، فضلا عن مأساته التي سببها له موت والديه وجده عبد المطلب ، مما قوى ميله إلى العزلة ، وربما رسخ في نفسه حقدا على هذا المجتمع الذي لم يبد لا عاطفة ولا رحمة ، ولم يبادر إلى مساعدة أولئك المسحوقين والمستضعفيه ممن عاشوا حياتهم ينتظرون عاصفة تنقذهم من العذاب الذي هم فيه.

أبو طالب يسحب ابن اخيه من نومه ن كلما هم بالرحيل ، مسألة خطيرة جدا ن لعل الصبي اليتيم ، المحروم ، كان يعاني مرضا نفسيا ، اعتبره عمه آفة تهدد سلامة الصبي البريء الذي نزلت به النكبات والكوارث وهو رضيع . لا نريد أن نستعجل الحكم على محمد بالمرض النفسي ، ولئن كانت المظاهر أو بعضها تشير إلى ذلك .

بذور الثورة :

المجتمع المكي متصدع فيه طبقتان من الناس ، الصورة قاتمة ، الصورة بلا إطار ، محمد الصبي يتأمل الصورة مليا ، هو لا يرى سوى حفنة من الناس : ((الملأ)) . أغنياء مكة . أصحاب المال الكثير والأرض الوسيعة والإبل العديدة . سكان الحي الراقي في مكة يأكلون بصحاف من فضة وذهب . يملكون الألوف من الإبل[٢٥] . ويسكنون الغرف العالية والقصور المشيدة ويلبسون الحرير

---

[24] يقول الدكتور جواد علي : ((يعود الفضل في بقاء مكة وبقاء أهلها بها إلى موقعها الجغرافي . فهي عقدة تتجمع بها القوافل التي ترد من العربية الجنوبية تريد بلاد الشام أو القادمة من بلاد الشام تريد العربية الجنوبية والتي كان لابد من ان تستريح في هذا المكان لينفض رجالها عن أنفسهم غبار السفر وليتزودوا ما فيه من رزق ، ثم ما لبث أهلها أن اقتبسوا من رجال القوافل سر السفر وفائدته . فسافروا أنفسهم على هيأة قوافل تتولى نقل التجارة لأهل مكة ، وللتجار الآخرين من أهل اليمن ومن أهل بلاد الشام . فلما كان القرن السادس للميلاد احتكر تجار مكة التجارة في العربية وسيطروا على حركة النقل في الطرق المهمة التي تربط اليمن ببلاد الشام والعراق))
المفصل في تاريخ العرب قبل الأسلام . دار العلم للملايين ص ٤-٦٤

[25] يومذاك كان الجمل بمثابة سيارة شاحنة ، وكان النقل في أوج عظمته بين مكة وبلاد الشام ومكة وبلاد اليمن .

اليمني ، وينامون على سرر مرفوعة . فرشـهم مبطنـة ومبثوثـة ، أرائكهـم منعمـة ، يسـطون علـى أمـوال اليتـامى والمسـاكين ، يرغمون المستدينين على حمـل نسـائهم أو بنـاتهم علـى البغـاء لإيفاء ما عليهم .

أمـا "الأذلـة" ، وهـم السـواد الأعظـم مـن سـكان مكـة فمـا كـان لمحمد أن يطيق النظر إليهم . هؤلاء مزقهم الأستبداد والطغيـان ، فمنهم "الصعاليك" و"ذؤبـان العـرب" و"لصـوص الباديـة" و"عصـابات السـوء" ، طعـامهم مـن ورق الأشـجار أو لحائهـا أو ثمرهـا ، ومـن الأعشاب يأكلونها نيئة دون معالجة ، وربما صنعوا مـن الـوبر والـدم طعاما أو كسروا العظام ، وقد جرد عنها لحمانها ، فطبخوها .

الصورة المخيفة ، الجـوع يـنهش قلـوب الـذين أبـوا أن يسـتجدوا أو يتوسلوا ، الجوع يقـتحم بيـوت الأذلـة ، يفترسـهم ، ألـيس المـوت أفضل من الذل والجوع والحرمان ، عنـدما لا يجـد البائسـون طريقـا إلى الثورة أو الخلاص ؟

الصورة المعتمة تغمر مكة ، محمـد خـائف ، أبنـاء طبقتـه "تنبعـث منهم روائح كريهه من عدم الغسيل ، ويلعب القمل فـي شـعرهم ، ويتنقل على أجسادهم حيث يشاء" [٢٦].

محمد ، الفتى يحاول أن يجد حلا ، يحـار فـي فهـم هـذه الظـاهرة وكشـف أسرارها ، المشكلة تتفاقم ، اضطرب عقل محمد إذ هو لا يستطيع أن يفعل شيئا . "أبو طالب" لا يعرف أن مثل هذه العوامل إذا ما اجتمعـت لـدى طفـل بـائس مثـل محمـد ، غيـرت سـلوكه ، وعقله ، وشخصيته ، فكان يخاف على ابـن أخيـه القلـق المتوثـب الطموح من حادث قد يحدث له ، فيأخذه معـه أينمـا ذهـب ، وفـي محمد ثورة على الواقع .

إلى عيادة فرويد :

"أبو طالب" يراقب تحركات ابن أخيه فيـرى فـي بعضـها الهـذيان (delirium) وفي بعضها الحزن ، وفي بعضها الآخر التمرد والعصيان والطموح ، والغضب والنقمة ، كأني – بأبو طالب يتساءل عن وضـع

[26] جواد علي : تاريخ العرب قبل الأسلام ٥-٨٠.

هذا الصبي المثير المخيف ، وعما إذا كان قد خالط عقله هـوس أو انحراف.

أنها لقضية انسانية ، فلماذا نسكت عنها وهي ذات جذور متأصلة فـي حياتنـا السياسـية ، والفكريـة ، والأدبيـة ، والإجتماعيـة ، والدينية ، والعاطفية، والعلمية ؟.

هذه القضية آن لها أن تجد حلا . أن لمحمد ، فينا ، ما يصدق وما لا يصدق ، وقد استعمر هذا الرجل ، المسور نفسه بملائكـة اللـة ورسـله ، عقولنـا ونفوسـنا منـذ أمـد بعيـد ، كمـا اسـتعمر التـاريخ والتراث واستغلهما ، ولا يزال يستعمرهما ويستغلهما ، بأبشع مـا يكون الأستعمار والأستغلال.

نستأذن أبو طالب الحائر ، الخائف على ابن أخيـه ، لنبحـث معه ، ولو بعـد مئـات الأعـوام عمـا كـان يخـامره بشـأن ابـن أخيـه هـذا ، فنصطحب الفتى (محمد) النـابغ الغـامض إلـى عيـادة "سـيغموند فرويد" [٢٧] كـي نسترشـده ، وهـو العـالم النفسـاني الكبيـر ، علـه يكشف لنا ملامح هذا الأمر.

محمد في عيادة فرويد :

"سيغموند فرويد " ماذا يقول؟

عبقـري هـادئ متـزن يخضـع عبقريـا مضـطرب الـنفس والعقـل والشعور ، للتحليل النفسي . يلقي على أبو طالب بعض الأسئلة حـول ولادة محمـد ووفـاة أبويـه ، ورضـاعته ، ونشـأته ، وحركاتـه ، ومأكله ، ومشربه ، ونومه ، وغضبه ، وفرحه ، وعلاقاتـه مـع أترابـه من الذكور والإناث.

"أبو طالب" متكتم لا يبدي صراحة .

---

[27] فرويد سيغموند Freud Froyd Sigmund (1856-1939) was an Austrian physician who revolutionized ideas on how the human mind works > Freud established the theory that unconscious motives control much behavior. He thus greatly advanced the field of psychiatry > His work has helped millions of mentally ill patients. (George H> Pollock W.B.E.V. 7 P. 456)

"فرويد " يتلو علينا بيانه :

"الصرع (Epilepsy) نوبة عصبية مفاجئة ، تختلف في أعراضها وشدتها باختلاف الأفراد ، وينقسم من حيث الدرجة إلى نوعين [28]. يتميز كل منهما بمظاهر خاصة فالنوع الأول الذي اصطلح على تسميته (الصرع الأكبر) يمر بالأدوار التالية:

تسبق النوبة العصبية بوادر تأخذ أشكالا عديدة ، منها الدوخة وخدر الأطراف ، والمخاوف وتوهم الأشباح والأصوات المفزعة وتستمر هذه البوادر بضع دقائق ، ثم يتبعها تشنج مصحوب بتصلب أعصاب الجسم الإرادية تنتهي بسقوط المريض على الأرض وقد يترتب على هذا بعض الرضوض في الرأس أو أعضاء الجسم الأخرى.

"أبو طالب " مقاطعا : كأنك كنت معنا يا حكيم العقول.

"فرويد " يتابع :
" إن هذا التشنج (Convulsion) يكون في أول الأمر من النوع (الشديد التوتر) ، ثم يتحول – بعد انقضاء ثلاثين ثانية – إلى تشنج من النوع الأهتزازي ، ويصاحب هذه الحالة التشنجية أعراض أخرى منها : التواء الفك وعض اللسان وفتح العينين ، وتغيير لون الوجه واضطراب في عملية النفس وفي حركة القلب ورغاوي على الفم ، وسيلان في اللعاب ، وتستغرق هذه النوبة مدة خمس دقائق ، يعود بعدها المريض إلى الحالة الشعورية التي كان عليها ، وقد يحدث أن ينام نوما عميقا ، وعندما يستيقظ

---

[28] بينما أرنست رودن (Ernest A. Rodin)يقسم الصرع الى ثلاثة انواع رئيسية فيقول :
“These are three chief types of epileptic attacks (1) grand mal , (2) petit mal , and (3) psychomotor
عن هذا النوع الثالث من الصرع يقول رودن :
“In a psychomotor attack the patient acts withdrawn and behaves strangely for a few minutes , the victim suddenly roam around the room or tug at his or her clothes . (W.B.E.V. 6 P. 263)
فليس هنا لك ما يستحق أن يدعى فرقا بين تقسيم "فرويد" وبين تقسيم "رودن" .

نجده يشكو التعب والإجهاد كما أنه لا يتذكر شيئا مما حدث له أثناء النوبة العصبية " [٢٩]

على هامش بيان "فرويد" : كان في قريتي رجل مصاب بهذا النوع من المرض ، كانت النوبة تأتيه مرة أو مرتين في الشهر ، البوادر التي ذكرها "فرويد" هي عينها التي رأيناها عند كامل ابن قريتنا ، في ساحة القرية ، شاهدناه غير مرة ن يسقط أرضا ... وينتفض كالثور المذبوح ، شيخ القرية أفاد أن كامل ليس مريضا ... بل هو مسكون بالجن . علمونا أن نبسمل (نقرأ : بأسم اللة الرحمن الرحيم) كلما حلت النوبة على كامل . شيخ القرية أكد قائلا " إنها مشيئة اللة يا أولادي".

آخرون قالوا : إنها نقطة دم تنزل على الدماغ فتحدث غيبوبة . صدقنا الشيخ لأن الجن قادر أن يأتيك بكرسي الرئيس الأمريكي أو الرئيس السوفياتي ، أو بالأثنين معا ، قبل أن يرتد إليك طرفك ، أما كرسي الرئيس الإسرائيلي ، حفيد سليمان بن داود ، فالحيلة معه غير نافعة ، الجن لا يخرج على ملكه .

"أبو طالب" لا يملك سوى الصمت .

"فرويد" يكمل :

"أما النوع الثاني من الصرع فقد اصطلح على تسميته (الصرع الأصغر) (Epileptiform) ومظاهره أخف حدة من مظاهر النوع الأول وتكون نوبة هذا النوع أخف وطأة من نوبات الصرع الأكبر فلا تسبقها بوادر ، ويغلب ألا يصحبها ما يصحب الصرع الأكبر من تشنجات . ومن أهم اعراضها فقدان مؤقت للشعور ، وسهو تام يترواح بين عدة ثوان ودقائق . وقد يتفق أحيانا أن يسقط المريض على الأرض ولكن في معظم الحالات يستطيع أن يحتفظ بتوازنه ولا يظهر لنا من الأعراض الجسمية سوى انقلاب العينين وميل الرأس وسقوط ما يمسكه المصاب من أشياء ، وقد يتوقف عن الحديث حتى ليترك جملة دون إتمامها . ولما كان المصاب في هذه الحالة لا ينتبه للخطر ، فغالبا ما يقف أثناء عبوره الطريق

[29] سيكلوجية السلوك النفسسي عند الجنسين ، تأليف سيجموند فرويد ، ترجمة بتصرف فؤاد ناصر ، منشورات حمد ، الطبعة الثانية بدون تاريخ ص ١٩٦-١٩٧

المزدحم او يسقط أثناء وقوفه على سلم الترام ويكون شاحب الوجه ، ولا تظهر عليه أية بادرة من بوادر التعبير ، ويفيق من سهوه ويعود إلى شعوره التام على نحو فجائي.

"أبو طالب" يكسر الصمت : عن الجمل أيها الحكيم ، الترام كلمة غريبة عنا .

"فرويد" يتابع :

" على أن بعض المصابين يستطيعون مواصلة أعمالهم من النقطة التي توقفوا عندها وذلك دون علم بسهوهم فيتمون الجملة الناقصة ، أو يواصلون السيرة كأن لم يحدث شيء على الأقل.
إن بعض هذه النوبات من الصرع الأصغر قد يستحيل إلى نوبات من النوع الأكبر، ولكن في هذه الحالة لا يكون المصاب عرضة لكلا النوعين" [٣٠]

عفوا "فرويد" :

إذا كان "أبو طالب" يخاف على ابن أخيه "من أي شيء يرتقب " أفلا يجوز أن نقول أن الصرع الأصغر ولا نقول الأكبر ، كان يفاجئ محمدا ، فيقلق " أبا طالب" ويشغل باله على ابن أخيه ؟

"فرويد" يواصل تلاوة بيانه :
" إن اسباب هذا المرض عضوية في جوهرها ، كما يقول الباحثون [٣١] إلا أن حدوث النوبة رهن بالأضطراب النفسي .
فقد لوحظ أن النوبات الصرعية اطردت زيادتها نتيجة القلق العام الذي احدثته الغارات الجوية أثناء الحرب " [٣٢]

---

[30] المصدر السابق
[31] "عيوب في انسجة المخ من الميلاد أو صدمة تأثر بها المخ في أعقاب بعض الأمراض ، مثل الألتهابات السحائية والمخية والأورام الخبيثة ، أو السموم التي تؤثر في الخلايا المخية سواء جاءت من الخارج – عن طريق الخمور والمخدرات – أو من الداخل كالسموم المختلفة في الكبد أو في الكلى والتي ينبغي أن تخرج مع البول حيث ان تخلفها يؤثر تأثيرا سيئا على وظائف المخ " أيضا في الجوع ، وسوء التغذية ، وعدم الغسل ، وما يسبب عيبا في أنسجة المخ ، كما يسبب عيبا عموميا في سائر أعضاء الجسم وخلاياه .
[32] فرويد ، المصدر السابق، ص ١٩٧-١٩٩.

"أبو طالب" يصغي متعجبا . أبو طالب يتمتم : ألا يكون محمد قد أصيب بلكمة على رأسه أيام كان في أمانة حليمة السعدية ؟ لم لا ؟!

نبقى مع العالم النفسي فرويد ، لنستعرض وإياه مختلف مظاهر الشذوذ النفسي : فرويد يشرح ويصنف ويفسر :

١- النيواستنيا (Nervous Breakdown) النهك العصبي :

إنه مرض آخر من الأمراض النفسية يشبه من بعض الوجوه حالات القلق النفسي ، غير أننا نرى في أعراضها من الخصائص ما يميزها عن حالات القلق ويجعلها مرضا قائما بذاته .
"وأهم أعراض هذا المرض ، الشعور الدائم بإجهاد زائد فنرى المريض دائم الشكوى من التعب عن القيام بعمل ما ، فكثيرا ما يبدأ منذ مغادرة المريض الفراش حتى يأوى إليه في المساء ، بل ولا يستطيع أن ينام نوما هادئا بعد ذلك مما يضاعف شعوره بالتعب الجسدي ، حتى ليظن أن العلة في جسده لا في نفسه وكذلك يشعر المريض بالضيق والتبرم ويعرض عن الأشتراك في أي عمل ، ويناله الملل بسهولة حتى من أيسر الأعمال ، ولا يستطيع مواصلة التفكير في موضوع معين " [٣٣]

وقد ينتهي هذا المرض بصاحبه إلى اليأس الشديد ، وربما إلى الأنتحار . وكثير من طبقة "الذلة" في مكة ، من كان يفضل "الأعتفاد" [٣٤]، فيغلق بابه على نفسه ليموت جوعا ، بعد أن يكون قد قطع الأمل والرجاء ، إثر انكسار ينهك الأعصاب ويفتك بالقلب والعقل .

٢- الهيستريا (Hysteria) :

وهي مظهر من مظاهر انحلال الشخصية يصاب بها غالبا من هم في سن الشباب وخاصة الإناث منهم .

---

[33] فرويد ، المصدر نفسه ، ص ١٨٠.

[34] جاء في لسان العرب : قال أبو عمرو : الأعتفاد أن يغلق الرجل بابه على نفسه فلا يسأل احدا حتى يموت جوعا ، وانشد :
"وقائلة : ذا زمان اعتفاد .... ومن ذاك يبقى على الأعتفاد؟
وقال محمد بن أنس : " كانوا اذا أشتد بهم الجوع وخافوا ان يموتوا أغلقوا عليهم بابا ، وجعلوا حظيرة من شجرة يدخلون فيها ليموتوا جوعا . . قال : ولقي رجل جارية تبكي فقال له : مالك ؟ قالت : نريد أن نعتفد " (ج ٣ – ص ٢٥٩: عفد).

وتمتاز الشخصية الهيسترية بصفات تميزها عن الشخصية العادية ، ومن أبرز تلك الصفات ، إيثار النفس ، وذاتية المركز وقصور في القدرة على صدور الأحكام والسيطرة على المواقف ، والهروب من تحمل المسؤوليات ، وعدم النضوج العقلي والخلقي ، كما أنها تميل إلى تفضيل العاطفة على العقل والخضوع لسلطان الشعور دون سلطان المنطق . وما هذه إلا صفات لا يدركها المريض في المراحل الأولى من حياته غير أنها تصبح شيئا فشيئا جزءا من سلوكه مكملا لشخصيته " [٣٥]

ما أكثر الذين اصيبوا بمرض الهيستريا ، في مكة ذلك الزمان ، ولم يلتفت إليهم المؤرخون ! ولا يزال بعض الشرقيين يؤمنون بالعلاج "الميتافيزيقي" : الرقيات ، التعاويذ ، زيارة قبور المقدسين ، والأنبياء ، وأهل الكرامات وعتبات الأولياء من الأئمة . لأن الطب النفسي لم يعرف ، في عهد محمد . أهمل المؤرخون والباحثون ما أصاب أبناء الطبقة المعدمة في مكة ، وغير مكة ، بسبب الجوع ، والتعذيب ، والقهر ، والقلق، والخوف، والحرمان ، والتسلط ، والأستبداد .
رجل يرغم على أن يدفع بزوجته ، أو ابنته ، إلى البغاء ، ليسد حاجة ، أو دينا عليه ، مشكلة أساسية ، قد لا تؤدي إلى الهيستريا فحسب بل إلى ما هو أخطر من الهيستريا . إلى الأنتقام المسعور مثلا ، أو الخروج بالسلاح على كل من أعطي النعمة والمال . ولقد "ملأ العربي الصحراء فخارا بقوته وعدته " [٣٦] شعورا منه بالحرية والإباء والشجاعة والشهامة .
حتى أن العرب "أبوا إلا أن يفتخروا بتعاليهم على الملوك " [٣٧] إذ وبخوا كل ملك لم يتق محارمهم وكل من لم يسالمهم حبا وكرامة .

٣- السلوك السيكوباتي (Psychopathic):

"الشخصية السيكوباتية شخصية مريضة ، شأنها في ذلك شأن الشخصية الهيسترية . والفرق بين الشخصيتين هو فرق في نوع الأنحراف السلوكي ، ومدى ما يحدثه هذا الأنحراف من أضرار تتصل بأفراد المجتمع . ذلك أن "السلوك السيكوباتي " يدفع

---

[35] فرويد : المصدر السابق ، ص ١٨٤.

[36] د. أحمد محمد الحوفي : الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، دار القلم بيروت بدون تاريخ ، ص٣٥٥

[37] المصدر السابق ، ص ٢٥٦

صاحبه عادة إلى إلحاق الأذى بالغير ، بينما السلوك الهيستيري لا تتعدى أضراره صاحبه " [٣٨]

على أن الفرق بين المرض الهيستيري ، أو المرض السيكوباتي والأمراض العصبية النفسية الأخرى هو فرق في درجة الصراع العقلي ، وفيما تحدثه تلك الصدمات النفسية في حياة الفرد من آثار ، يضاف إلى ذلك الأستعداد العصبي الموروث ومدى تفاعل هذا العامل مع العوامل الخارجية لذلك الصراع العقلي" [٣٩]

٤- السكيزوفرينيا : (الشيزوفرينيا) (Schizophrenia) [٤٠]

هي مرض من الأمراض النفسية تظهر أعراضه عادة في السن ما بين الرابعة عشرة والثلاثين ، كما يلاحظ أنه في الرجال أكثر ظهورا من النساء ، وأن سكان المدن أكثر تعرضا له من سكان الريف ، ذلك لأن الحياة في المدن أشد تعقيدا منها في الريف ، كما أن مطالبها وقدرة الفرد على التفاعل مع بيئته التي يعيش فيها ، أسهل منالا في الريف منها في الحضر .

والسلوك (السكيزوفريني) يشمل الحالات التي تتميز بأعراض أهمها غرابة الأطوار ، والأستنتاج غير المطابق للعقل وهذيان العظمة والأضطهاد ، وتشتت التفكير والأنتباه ، والوهم ، واضطراب الشعور [٤١]

"أبو طالب" متأوها : كان محمد غريب الأطوار فعلا . كان يهذي . كان مشتت التفكير والأنتباه . قالها "أبو طالب" وصمت .

٥- الجنون الدوري (Manic –depressive Psychosis.):

"مرض من الأمراض العقلية ، ذو مظهرين :إثارة وتهيج أو كآبة وانقباض . وقد يحدث أحيانا ان يكون المظهران متعاقبين ، وفي بعض الأحايين يلاحظ أن أحدهما يكون أكثر بروزا من الآخر . يبدأ الشخص المصاب بهذا المرض بتطرف ظاهر في جميع تصرفاته وسلوكه ، حيث نجده في حالة من النشاط الجسمي والعقلي

---

[38] فرويد ، المصدر السابق، ص ١٨٧

[39] المصدر نفسه ، ص ١٨٦

[40] The word “Schizophrenia “ means a splitting or shattering of the mind.

[41] المصدر السابق ، ص ١٩٠-١٩١

الزائد ، تبدو في ممارسته الأعمال الضعيفة دون طعام أو شراب أو نوم أو راحة كما تبدو في ميله إلى الغناء والحديث بصوت مرتفع لعدة ساعات حتى يحتبس الصوت .

"أما المظهر الآخر لهذا المرض ، فهو على طرف نقيض من سابقه من حيث العوارض ، إذ نجد المريض لا يميل إلى الحركة حتى أنه يقضي الساعات الطوال في مكان واحد ، كئيبا حزينا ساهما مشتت الفكر موزع الخواطر ، يندب حظه وسوء طالعه ، شاعرا بضآلة مركزه وتفاهة شأنه في المجتمع ، ينظر إلى الحياة بمنظار أسود ، ناقما متبرما ، قليل الثقة بأصدقائه ومريديه ، متهما نفسه بارتكاب الجرائم والخطايا التي يتوقع الجزاء عليها من آن إلى آخر . وقد يغالي أحيانا في التدين أو يغرق همومه في الكأس أحيانا أخرى ، هربا مما هو فيه من ضيق . وهناك قلة من المرضى يصل بها هذا الضيق والتبرم بالحيلة إلى التفكير في التخلص منها عن طريق الأنتحار [٤٢]
وأقفل "فرويد عيادته ليأخذ كل سبيله.

الموكب الرسولي يغادر :

عند مدخل الباب وقف فرويد ليقول :

مشكلة هذا الرجل عجيبة ، غريبة ، ومستعصية أيضا . ولد ليكون متفوقا . وعاش ليكون متفوقا . ومات ليكون متفوقا . مرضه قتول . يترك آثارا سيئة على المجتمع . يعرقل الحرية . يخنق المنطق . ينزل الكآبة على كل من يصدقه . وفي مجمل الأحوال لا يعتبر هذا الرجل وحده المسؤول عن قضيته . هنالك ، لا شك ، عصابة ... جماعة من المستفيدين ، طغي عليها الجنون الذي حل به . ينبغي لهذه الجماعة أن تأتي معه إذا ما قررتم الرجوع إلى هنا ثانية .

إن أخطر ما في قضية هذا العبقري – المجنون ، أنه ادعى النبوة ، في مجتمع كان بأمس الحاجة إلى نبي ، وإذا هو يكرس نفسه نبيا لا مثلما الذين جاؤوا من قبله فحسب ، بل خاتم "الأنبياء"

---

[42] فرويد : المصدر السابق ، ص ١٩٤-١٩٥.

والمرسلين. وإن أقصى درجات الجنون أن يدعو المريض نفسه أشرف الخلق وأحسنهم وأعظمهم على الإطلاق ووصيا عليهم وحسيبا عنده علم الأولين والآخرين . وان محنة الإنسان والإنسانية لهي في هذا المريض بالذات .

أما محمد فقد ظل خلال وجودنا في حضرة "فرويد" شارد الذهن كأنه غير موجود .

محمد الغريب :

مهما حاول ويحاول الباحثون طمس تاريخ المجتمع المكي ، الإجتماعي والنفسي ، في تلك الحقبة الممتدة بين ولادة محمد ودعوته (مدتها أربعون سنة تقريبا) فلابد من كشف ما أخفي وأهمل ، وإلقاء الأضواء على واقع مرير ، تخللته أنواع كثيرة من الأمراض النفسية والعقلية ، غالبا ما تؤدي ، إلى الموت ، دون أن يجرؤ أحد من أبناء ذلك المجتمع المهترئ الذي كانت تسوده شريعة المقتدرين ، المتسلطين، المستغلين، على كسر نير العبودية أو وضع حد لهذا الأستغلال الفاحش المتمادي.

لقد خاف "أبو طالب" فعلا على ابن اخيه ، محمد ، إما من المتسلطين ، الرافضين الرحمة والرأفة بالمحتاجين ، وإما من ذلك الوسط الجاهل البائس الحزين ، الجائع ، المنعزل عن المجتمع وتحركاته ، الرازح تحت وطأة الوساوس ، المستسلم للأمراض ، والأوهام ، والخرافات . وإما من مرض كان يعانيه محمد نفسه . وربما للأسباب التي ذكرنا جميعها .

"أبو طالب " على كل حال ، مضطر أن يستخدم ابن أخيه ، كيفما كان ، سواء في رعاية الغنم قبل أن يلحظ ما كان يراه على ابن أخيه في حداثته ، أو في السفر معه إلى الشام لحفارة قوافل قريش . ليعينه ويحصل بعرق جبينه قوته اليومي.

"يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي . وليس ما يمدنا وما يقومنا ولا تجارة " [٤٣]. كلمات طالما سمعها محمد على لسان عمه الذي لا أرض له للزرع ، ولا نخيل ، ولا إبل ، ولا مال ، ولا شيء آخر.

---

[43] السيرة الحلبية ١\١٤٧، ابن سعد ١\١١٩.

هل أستطاع "أبو طالب" اقتلاع محمد من وسطه الفقير البائس هذا ؟

لا شك أن محمدا رافق عمه ، في رحلة أو أكثر ، إلى الشام . مما ساعده على مقاومة الأمراض العقلية والنفسية التي كان يتخبط بها أبناء وسطه . إلا أن نوعا من الأغتراب (Alienation) [٤٤] كان يرافق هذا الشاب . ولعله الأغتراب التكويني (Developmental Alienation) ، الذي "يحصل لدى أولئك الذين يشعرون بضياع حياتهم الفردية وما فيها من علاقات وروابط بشكل لا يسمح باعادتها من جديد . وهذا يأتي نتيجة لنمو الحياة خصوصا بالنسبة للطلبة [٤٥] ذلك النمو الذي يعني ظهور أشياء جديدة وضياع أشياء وأمور أخرى مرت في مراحل سابقة من الحياة"[٤٦]

ومحمد ، منذ كفله جده عبد المطلب ، عاش حياة تخللها الأضطراب ، والقلق على المصير ، من جهة ، ورياضة "ميتافيزيقية" مع فريق من المكيين كان يجتمع ، في منأى عن صخب مكة وضجيجها ، للترويح عن النفس المتعبة والمثقلة بالهموم والآلام ، من جهة أخرى .

---

[44] Alienation : is the feeling of being isolated from certain aspects of one's environment . Alienation may occur when a person's emotional ties with another person , group, institution , or belief are disrupted and the person feels the attachment can never again be the same , sometimes entire groups become alienated.
There are many causes of alienation .
For example , alienation may occur when a group loses a leader who represented its dreams and hopes , or when a child discover the shortcomings of person believes that certain political , economic, or social institutions are impersonal and responsive to change.
Alienation takes different forms and may have various consequences . Alienated persons may become disoriented or hostile, feel helpless , withdraw within themselves , or reject the values society has established.
(Wolf Heydbrand , W. B . V I PP 351-352)

[45] في حياة محمد رجل ، عنده "علم الكتاب" كان يملي عليه الدروس كما سنرى.

[46] Gerald Reagen : "The Schools and Alienation " P.P. 321-327
خرجه د. قيس النوري : مجلة عالم الفكر – المجلد العاشر – العدد الأول ، ص ٣٣.

الغريب وبحيرا :

وإذ يخبئ محمد ، في عينيه الشاردتين ، ووجهه الممتلئ أسى وحزنا ، "رفضا كونيا " (Cosmic Alienation) غذته تلك المدرسة التي كانت تجمعه إلى "عالم بالكتاب" ورفقاء في الألم والبؤس ، مر ، برفقة عمه ، وهما في طريقهما إلى الشام بالراهب بحيرا [٤٧]، الذي ينفي كتاب السيرة ، والمؤرخون المسلمون ، وجود أي علاقة بينه وبين محمد ، سوى تلك الزيارة الوحيدة التي فيها رأى كل صاحبه فتنبأ الراهب لمحمد ب مستقبل عظيم .

من أين لراهب يسكن صومعة بعيدة بعدا شاسعا عن مكة أن يعرف ما يخبئه المستقبل لصبي مثل محمد لم تقع عليه عينه من قبل ؟

علم الغيب ؟

لا !

ألم يكن دير الراهب بحيرا محطة للمسافرين من أهل مكة وممرا ؟ [٤٨]

ألم يحدث المكيون هذا الراهب عن الفتى محمد ... وسلوكه الشاذ واغترابه ، وعلاقته بفقراء مكة المسحوقين ... واللقاءات التي كانت تعقد في غار حراء ؟

ألم يحمل المسافرون القرشيون رسائل من القس ورقة بن نوفل [٤٩]، أسقف مكة ، إلى الراهب بحيرا ، ومن الراهب إلى القس ؟

---

[47] بحيرا : (النصف الثاني من القرن السادس) : راهب أقام في جزيرة العرب وابتنى له صومعة على طريق القوافل وكان يدعو البدو الى التوحيد .

[48] ورد في السيرة الحلبية ١\١٣٠-١٣٥ "وكانت قريش كثيرا ما تمر على بحيرا فيصنع لهم طعاما كثيرا "

[49] كنت أتكلم عن القس ورقة بن نوفل ، بحضور سيدة عربية "مندائية" ، فهمست لي قائلة "ورقة الذي تتحدث عنه هو "صابئي" الأصل (أبيوني) . أتخذ هو وبعض المكيين النصرانية معتقدا لهم ، ليستعينوا بأهل الكتاب على الوثنيين . وبعدما أنتشر الأسلام في جميع انحاء الجزيرة دخل معظم "المندائيين " في الأسلام ليحموا أنفسهم من الذبح والتعذيب" .

المؤرخون اختصروا المسافة . ابتلعوا الوثائق ، إرضاء للخلفاء والأمراء ، وعامة الناس ، واحتراما للوحي .

النزاعات المسيحية – النصرانية كانت تحتضر ، في ذلك الوقت ، على أرض الجزيرة . فماذا كان يقول ورقة للراهب بحيرا ؟

ألم يتفقا معا على توحيد المسيحيين والنصارى والتصدي لأحكام المجامع التي كانت تعقد لتنظر في انشقاق بعض رؤساء الكنائس والأديار عن الكنيسة الجامعة الأم ؟

البريد بين غار حراء وبين دير بحيرا ، في بصرى – الشام ، هل ضاع تحت سنابك خيول الفتح الإسلامي ؟
هل الوحي عاصفة أم زلزال أم هو الطوفان العظيم ؟

أسئلة تستيقظ اليوم لتقف على أنقاض العقل المدفون المستور . ولقد سئمنا البكاء على الأطلال ، وعبادة الأصنام والأنصاب . فليس محمد وحده الغريب بل كلنا غرباء . وكلنا بلا واقع ، وبلا جاذبية . كالأرض الهشيم صرنا . نباتنا وشجرنا يبس وتكسر ن فلماذا الخوف من العواصف والزوابع ؟
هذه الأسئلة يجب أن تقتحم معاقل التاريخ ودهاليزه فتكسر الصمت الرهيب .

وفجأة تزوج محمد :

المؤرخون فجأة زوجوا محمدا من خديجة بنت خويلد . "كان في الخامسة والعشرين من عمره عندما غلفت خديجة قلبه بموجة

الا أن الدكتور اسد رستم يقول : "الأبيونيون Ebionaion" تفرعوا عن كنيسة اورشليم وتفرقوا مبشرين معلمين أن المخلص هو ابن يوسف وان بولس مرتد عن الدين القويم متمسكين بالأنجيل الى العبرانيين مستمسكين بالناموس متخذين اورشليم قبلة لهم في صلواتهم .
وأبيونيم كلمة عبرية معناها الفقراء " (كنيسة انطاكية منشورات النور ، ج١ ص ٣٣) ، وأفاد انطون سعادة يقول " كان محمد يتجه في صلاته الى اورشليم ، فلما وجد اعراض اليهود عن دعوته ورفضهم ورفض المسيحيين الأقرار باستقلال دعوته وصحة نبوته عدل عن قبلة اورشليم وجعل مكة قبلته الجديدة " (الأسلام في رسالتيه المحمدية والمسيحية ، الطبعة الثالثة ١٩٥٨، ص ١٨٢).

من الحب العارم ، وكانت هي في الأربعين عندما شعرت لأول مرة في عمرها بعذوبة الدفء .... [٥٠]
انه ثالث رجل في حياتها ، ولكنه الرجل الفريد والوحيد الذي تسرب إلى عروقها من بين أرياف مقلتيها وانحدر إلى قلبها من فوق مشالح الغمام .

"ولم يكن محمد أقل منها تحسسا بالقيمة التي تحمل على كتفها صدق الحنين ، فأخذها بين يديه ، كما تأخذ الزهرة قطرة الطل ، وحدب عليها ، كما تحدب الحدقة على العين " [٥١]

بدون تمهيد ، تزوج محمد من خديجة . الأسباب الأقتصادية التي دفعت إلى هذا الزواج "الموفق" وحرضت عليه مستبعدة !

هكذا شاء المؤرخون . إذ شاء اللة ابن خمس وعشرين سنة يتزوج امراة ، في عقدها الخامس – حسبما قالوا – لها ثلاث بنات [٥٢]، من زوجها الأول (؟) ، نسبهن البعض إلى محمد .

الزواج الصفقة :

---

[50] نستغرب هذا الحكم المطلق ، من الكتاب . كأنهم خديجة .. أو كأنهم عرفوا هذا الدفء بأنفسهم "لقد بلت خديجة الدنيا وعرفت الرجال ، وتزوجت مرتين ، بأثنين من سادات العرب واشرافهم :عتيق بن عائد المخزومي ، وأبي هالة بن زرارة التميمي (هنالك مصادر تقول ان خديجة تزوجت ابا هالة ، ثم عتيق ابن عائد) ، واستأجرت غير واحد من الكهول والشبان فما رأت فيمن عرفت ، ذلك النمط الفريد من الرجال " (عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) نساء النبي ، دار الكتاب العربي ، ص ٣٣) .

[51] سليمان الكتاني : المصدر السابق ن ص ٣٩.

[52] بنات خديجة هن :

(١) زينب : تزوجها أبو العاص بن الربيع بن عبيد العزى بن عبد الشمس هو ابن خالتها ، وولدت له عليا – مات صغيرا – وامامة . وعندما بعث محمد اسلمت زينب حين اسلمت امها خديجة وبايعت محمدا هي واخواتها .

(٢) رقية : تزوجها عتبة بن ابي لهب بن عبد المطلب قبل الأسلام . ولما بعث محمد رسولا ، امر ابو لهب ابنه بطلاقها ، فتزوجها عثمان ، وكان ذلك قبل الهجرة الأولى الى الحبشة ، لأن عثمان عندما هاجر كانت رقية بصحبته .

(٣) أم كلثوم : تزوجها عتيبة بن أبي لهب بن عبد المطلب قبل الأسلام . واسلمت حين اسلمت امها ، وفارقت زوجها في نفس الوقت الذي فارقت به رقية زوجها عتبة . (حسن الأمين : دائرة المعارف الأسلامية الشيعية ، المجلد الأول ، الجزء الأول (ط٢) ، دار التعارف للمطبوعات ، ص ٢٧) . قد يكون سها عن بال الأمين ذكر "هند" ابن خديجة من "ابو هالة" قيل في جمهرة الأنساب (١٣٣) والأستيعاب ٤\١٥٤٥) وكان "هند" غلاما لم يشب عن الطوق عندما تزوج محمد من خديجة " .

قصة هذا الرواج "التجاري" أولها حديث "أبو طالب" إلى محمد : "يا ابن أخي . أنا رجل لا مال لي ، وقد اشتد الزمان علينا وألحت علينا سنون منكرة ، وليس لنا مال ولا تجارة ، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام وخديجة تبعث رجالا يتجرون في مالها ويصيبون منافع ، فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من أمانتك وطهارتك ، وإن كنت أكره أن تأتي الشام واخاف عليك من يهود ...
وقد بلغني أنها استأجرت فلانا ببكرين ، ولسنا نرضى لك بمثل ما أعطته ، فهل لك في أن أكلمها ؟
"قال محمد : لك ما أحببت يا عم ..." [٥٣]
نضع خطين تحت : "يتجرون في مالها ويصيبون منافع " وخطين تحت : " لما يبلغها عنك من أمانتك وطهارتك " لنسأل :
أولا : هل كان "أبو طالب" يعرف بما يخطط لمحمد ؟

ثانيا : من الذي كان يبلغ خديجة عن أمانة محمد وطهارته ؟

ثالثا : كيف عرف محمد بالأمانة والطهارة ؟

تجارة ، ومنافع ، وطمع بالزواج من خديجة الثرية ، الساكنة في علية ، حولها المؤخون حبا عظيما جامحا !

نهاية القصة كانت يوم عادت القافلة إلى "ام القرى" من رحلة الصيف إلى الشام . "المسافرون قد استغرقتهم نشوة حالمة منذ بلغوا "مر الظهران " [٥٤] على مقربة من مكة واشرأبت أعناقهم إلى معالمها التي لاحت لهم من بعيد ، وتناديهم في لهفة واشتياق " .

---

[53] رواية الزرقاني عن الواقدي . أبن هشام ١٩٩\١. السمط الثمين للطبري ، ص ١٣ ، وفي الطبري ١٩٦\٢، ان خديجة هي التي عرضت عليه مباشرة أن يخرج في مالها تاجرا الى الشام . أنظر ايضا "نساء النبي" (بنت الشاطئ) ص ٣٠.

[54] الظهران : واد قرب مكة وعنده قرية يقال لها مر الظهران وروى ابن شنميل عن ابن عون عن ابن سيرين : ان ابا موسى كسبا في كفارة اليمين ثوبين ظهرانيا ومعقدا ن قال النضر : الظهراني من مر الظهران . وبمر الظهران عيون كثيرة ونخيل لأسلم وهذيل وغاضرة ، وقد جاء ذكرها في الحديث (معجم البلدان . الحموي ، م ٤ ص ٦٤)

"لكنه وحده (محمد) من بين هؤلاء جميعا انطوى على نفسه يكابد أشجانه التي هاجها مرور القافلة قريبا من الأبواء " في طريق عودتها إلى مكة .

"وعبثا حاول تابعه المرافق أن يغريه بالتطلع إلى "أم القرى" أو يشغله بالحديث عما ينتظره هنالك من تقدير السيدة الثرية الكريمة ، التي اختارته ليخرج في مالها إلى الشام ، ووعدته بأن تعطيه ضعف ما كانت تعطي غيره ممن استأجرتهم قبله ..."[٥٥]

جعلوا من زواج محمد وخديجة أسطورة رومانطيقية : "علا ضجيج الركب مختلطا بهتاف المستقبلين ورغاء الإبل التي أناخت على ثرى مكة مطمئنة ، فمضى محمد على بعيره قاصدا دار خديجة بعد أن طاف بالبيت العتيق (؟).

"وكانت خديجة هناك في دارها ، ترقب الطريق من علية لها في لهفة مشوبة بشيء من القلق [٥٦] وإلى جانبها غلامها ميسرة يملأ أذنيها بحديث مثير عن رحلته مع محمد [٥٧]
وإذا ظهر لها أخيرا يدنو من الدار بطلعته الوسيمة وملامحه النبيلة ، اندفعت تستقبله لدى الباب مرحبة ، مهنئة بسلامة العودة ، في صوت يفيض عذوبة ورقة وحنانا .

"ورفع إليها وجهه شاكرا ، فما تلاقت الأعين حتى عاد فخفض بصره ، ومضى يقص عليها أنباء رحلته وربح تجارته وما جاءها به من طيبات الشام ...

"وأنصتت إليه شبه مأخوذة ، حتى إذا ودعها ومضى ، ظلت واقفة حيث هي ، تتبعه عيناها إلى أن توارى في منعطف الطريق " [٥٨]

بيت خديجة يشتعل بنار الحب ، كل شيء تغير في تلك العلية بل في كل الحي الراقي ، خديجة لا تنام ، هو ابن خمس وعشرين سنة وهي بنت اربعين ، لا بأس ، عندها علية ، ومال ولها جاه ونفوذ وسلطان وتجارة .

---

[55] بنت الشاطيء ، المصدر السابق ، ص ٣١.
[56] قلق من ماذا ؟ أهو قلق الحبيبة ؟
[57] ما عساه قال لها ميسرة ؟ هل قال لها محمد يطمح بالزواج منك ؟
[58] بنت الشاطئ : المصدر السابق ، ص ٣٢ .

"أتراه يستجيب لعاطفة أرملة كهلة في الأربعين من عمرها وهو الذي انصرف حتى اليوم عن عذارى مكة وزهرات بني هاشم الناضرات " [٥٩] ؟

أجل ! لقد استجاب محمد لهذه العاطفة ويقولون : عمر خديجة أربعون سنة ، ولكنها أنجبت له ولديه : "القاسم " و"عبد اللة" اللذين ماتا طفلين ، كما رزق منها ابنته فاطمة .

الواضح هنا أن خديجة لم تكن في الأربعين حسبما ادعوا ، على كل حال الزواج ، الصفقة ، تم . "نفيسة بنت منية " صديقة خديجة جاءت محمدا تسأله : فيم العزوف عن الدنيا وقضاؤك على شبابك بالحرمان ؟ "هلا سكنت إلى زوجة تحنو عليك وتؤنسك وتزيل وحشتك " ؟

بكى محمد ، إذ لم ينفعه إمساك دمعته . قال لمحدثته نفيسة :

- ما بيدي أتزوج به ...

قالت على الفور :

- فإن دعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ، ألا تجيب ؟ عندئذ أدرك محمد أنها تعني خديجة .

بعد أخذ ورد بين محمد ونفيسة وخديجة استغرق فترة قصيرة جاء محمد وفي صحبته عماه (أبو طالب وحمزة ، ابنا عبد المطلب) بيت خديجة . وإذا كل شيء مهيأ للزواج ... السريع ... الصفقة ؟!

أبو طالب قال :

"أما بعد : فإن محمدا ممن لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا ، وإن كان في المال قل فإنما المال ظل زائل وعارية مسترجعة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ... " [٦٠]

---

59 المصدر نفسه ، ص ٣٤.

60 ابن هاشم : السيرة ١\٢٠١.

لماذا يرغب شاب في الخامسة والعشرين ، أرملة جربت زوجين ، ولها أولاد ؟

بل السؤال الأسبق : لماذا تأخر محمد عن الزواج حتى ذلك اليوم ؟

لقد أثنى ابو طالب على الموروث والمكتسب عند ابن أخيه ، الشرف والنبل ، ميزتان طبيعيتان عند قريش ... القبيلة الأكبر ... والأقوى ... هذا حكم مطلق أيضا ، هل يعقل أن لا يكون بين أبناء هذه القبيلة من ليس شريفا ولا نبيلا ؟ أم أن قريش صارت هكذا منذ بعث محمد نبيا ؟

ألم يتصد لمحمد بعض من رجالا ت قريش ؟

إنها المسلمات المطلقة (Postulates) لاأحب أن أقف عندها مكتوف اليدين . لماذا نغض الطرف؟ وهي ليست إلا مربعا صغيرا أرادوه لجاما للعقل . منذ أربعة عشر قرنا نقعوا العقل في ذلك المربع ، الصغير (الإيمان الأعمى) ومضوا يبنون عروشهم الواهية ، وقبورهم – القصور . وأعلنوا تفاهاتهم وجهالاتهم ، علينا ، دينا ، وعقيدة ، وشريعة ، وجعلوا الأنحناء للعروش والقصور – القبور ، علما إذ جعلوه فرضا وواجبا .
في يوم زفاف محمد على خديجة ، قارن أبو طالب (الذكي الواقعي التفكير) بين عقل محمد ومال خديجة . وكي لا ينتصر العقل على المال ، في تلك الليلة – الفرصة ، غلب ابو طالب العاطفة على العقل والمال فقال "وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ".

مال خديجة كان موجودا . ربما أخذته عن أبيها وربما عن زوجيها السابقين ، أو من تجارتها الواسعة . المهم أنه موجود وذو إغراء فعال . خديجة (المرأة ثرية ذات تجارة كبيرة .

عقل محمد وفضيلته موضوع سؤالنا . العقل يحصل من المجتمع وأولي العلم . الفضيلة رياضة نفسية يمارسها المستقرون عاطفة ، والزاهدون ، والمقتنعون بما هم عليه ، والمؤمنون بما يعتقدون ، وهذه أيضا يتعلمها الإنسان ممن يرافقه ويتبادل معه الآراء والأفكار . ولابد لتحصيل الفضيلة والعقل من معلم أو مرب يكون على علم

وفضيلة ومعرفة [٦١] . وقد كان محمد ، حقا ذا فضل وعقل . البرهان زواجه من تلك المرأة ذات العلية الزاهية والمال الكثير والمتاع .

" فأثنى عليه (أي على محمد) عمها (عمرو بن أسد بن عبد العزي بن قصي) وأنكحها منه ، على صداق قدره عشرون بكرة [٦٢]

"ولما انتهى العقد ، نحرت الذبائح ودقت الدفوف ، وفتحت دار خديجة للأهل والأصدقاء ، فإذا بينهم حليمة قد جاءت من بادية بني سعد ، لتشهد عرس ولدها الذي أرضعته ، ثم لتعود في الغداة ومعها أربعون رأسا من الغنم ، هبة من العروس الكريمة لتلك التي أرضعت محمدا زوجها الحبيب " [٦٣]

محمد ، إذن ، قدم عقله وفضيلته ، ورجولته ، وشبابه الغض ، فيما قدمت خديجة مالها وإبلها وغنمها وعليتها وربما جسدها وحكمتها .

ليلة الزفاف :

زواج غير متكافئ طبيعيا ، ماذا نقول فيه ؟

محكوم علينا أن نقول : هكذا اللة اراد . هكذا اللة أمر.

وتندت عينا محمد وهو يتفقد أمه (آمنه) فإذا يد لطيفة رقيقة تأسو الجرح القديم في حنان غامر ، وإذا به يجد في خديجة عوضا جميلا عما قاساه من طويل حرمان "[٦٤]

---

[61] "الطفل يولد مفلس المعلومات الخاصة ببيئته الخارجية خصب الأستعداد للأستقبال وخزن المعلومات الخاصة بكل خبرة يتعرض لها ويتكيف أي انه منظمة حيوية خام ، لها صفاتها الخاصة فعلا ، ولكنها شديدة التفاعل مع كل ما يحتك بها . هو أذن اجتماعي من صنع بيئته ، ولكنه تكويني من خلال وراثته " (د. الفت حقي : مجلة عالم الفكر ، المجلد العاشر ، العدد الثالث ، ص ٥٤).

[62] وفي رواية اخرى انه اصدقها اثنتي عشرة اوقية ذهبا : السمط ١٥. من أين اتى محمد بهذا الصداق ، ألم يأخذ من خديجة نفسها ؟

[63] بنت الشاطئ : المصدر السابق ، ص ٣٦.

[64] بنت الشاطئ : المصدر السابق .

محمد رأى في خديجة أمه آمنة ! ألم يشعر ، تلك الليلة بالخطأ ؟ ألم يظهر خجلا ؟ كيف كانت ليلة العرس؟ لعل اللة أنزل على محمد رسوله كبريل ليمسح بكفه الملائكي جسد محمد ويخلصه من العقد النفسية والجنسية والإحساس بالذنب . المشروع ، أصلا ، مشروع اللة . وبما أنه كذلك فاللة ملتزم بمحمد وخديجة حتى النخارع . فشل محمد ليلة العرس فشل اللة واللة لا يفشل .

نعود إلى فرويد . ان له رأيا سديدا في هذه المسألة .

فرويد يقول :

"إن الإحساس بالذنب يسبقه أغلب الأمراض النفسية المعروفة فهو السبب الدفين للخجل ، وضعف الثقة بالنفس ، وازدراء النفس ، والشك والتوجس ، وتجسيم التوافه ، والشعور بحقارة النفس ، والنقص ، والأكتئاب ، والمخاوف بأنواعها " [٦٥]

وليس ما يدعو الرجل إلى الخجل والخوف ، والتوجس والشك ، والأكتئاب ، مثل الشعور بأن المراة التي يضاجعها تشبه أمه ، أو هي بمثابة أمه (Oedipus Complex) [٦٦]
آل قريش وآل قصي وحليمة السعدية التي أعطيت أربعين رأسا من الغنم مكافأة لها وجميع المفيدين من هذا الزواج التجاري ، الصفقة ، لن يعرفوا ما إذا كان محمد قد أشبه في تلك الليلة أمه ، فعجز عن المضاجعة وضعف ، أو أنه استحوذ على خديجة وقلبها حتى انساها ابن المخزومي ، وابن التميمي ، اللذين هما أيضا من سادات العرب وأشرافهم .

---

[65] فرويد : المصدر السابق ، ص ٢٠٩.

[66] " التعلق الشديد بالأم يؤدي إلى الأمتناع عن الزواج أو ينزع بصاحبه الى الزواج من امرأة تكبره " (الدكتور أحمد عزت راجح اصول علم النفس ص ١٤٨)

Oedipus : was a king of Thebes in Greek Mythology . He unknowingly killed his father and married his mother . many ancient authors wrote different versions of the story of Oedipus.

The terms Oedipus complex was first used by Sigmund Freud .

(R.T. Ellickson : W.B.E. V 14 PP 511-512)

في أسوأ الأحوال هنالك اللة المسؤول عن نجاح تلك الليلة كما عن فشلها . جبريل في مكتبه ... ينتظر الأوامر من الرب .. الملك .. الحي ا.. القيوم . خديجة عندها الخبرة الكافية . وفي خزانتها طيبات الشام : اللوز والجوز والعسل والزبيب ، وسيظل محمد يأكل من هذه الطيبات إلى أن يفرجها اللة عليه .

دم البكارة على سروال خديجة ليس شرطا في عقد الزواج . هي أرملة مرتين ولها أولاد ، خديجة إذن لن تعلق السروال على الباب . آل قريش وآل قصي والأصدقاء والمنتفعون لن يسألوا عن الأحمر . لن يسألوا عن السروال . سيأتون إلى التهنئة ... ليأكلوا ويشربوا . الحديث عن البكارة ، العزيزة الشرف ، لن يأتوا عليه . عرس الحي الراقي هو عرس اللة ورسوله جبريل فلا احد يجرؤ على السؤال .

ولم يعن مكة من أمر الزوجين السعيدين سوى ان زواجا ربط بيم محمد بن عبد اللة بن عبد المطلب بن هاشم القرشي وبين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزي ابن قصي" [٦٧]

بنت الشاطئ شاهدة زور :

تقول السيدة عائشة بنت الرحمن (بنت الشاطئ) :
"ولكن التاريخ تلبث بعد بضع عشرة سنة ليسجل يوم العرس المشهود بين أيامه الخالدات على الحقب والدهور .

وقد انصرف إلى حين ، تاركا هذين الزوجين ينعمان بأطيب حياة زوجية شهدتها مكة ويترشفان على مهل رحيق ود صاف عميق ، سيظل حديث الزمان ...

" واستغرقا في هناءتهما خمسة عشر عاما ، ناعمين بالإلفة والأستقرار ، وقد أتم اللة عليهما نعمته فرزقهما البنين والبنات " [٦٨]

---

[67] وأم خديجة هي فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن هرم بن رواحه . الطبري ٣\١٧٥، الأستيعاب ٤\١٩١٧، ونسب قريش ٢٣٠.

[68] بنت الشاطئ : المصدر السابق ، ص ٣٧.

لست أدري كيف عرفت بنت الشاطئ ذلك . هل تقول لنا أديبتنا من أين استوحت هذا الكلام ، وكيف أتيح لها تجسيد هذا التخيل الجامح ؟

لنفترض أن أخا للأديبة السيدة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) أحب امرأة تكبره بخمسة عشر عاما ، ولم تكن أرملة مثل خديجة بنت خويلد ، فهل سترضى أديبتنا على هذا الحب ، وتشجع أخاها على الزواج من هذه المرأة أم أنها ستقيم الأرض على رأس أخيها ... وترفض أن تقعدها حتى يتراجع الشقيق ؟

نحن نعرف الجواب سلفا يا سيدتي.

لن نكثر الأسئلة إلا أننا سنلقي عليك مسألة واحدة فقط . إليك يا سيدتي سؤالنا :

لقد قلت في كتابك "نساء النبي " ما يلي :
" ولم تدهش مكة حين اعلن نبأ المصاهرة بين اعز صاحبين وأوفى صديقين (محمد وأبي بكر) ، بل استقبلته كما تستقبل أمرا طبيعيا مالوفا ومتوقعا . ولم يجد فيها أي رجل من أعداء الرسول أنفسهم موضعا لمقال ، بل لم يدر بخلد واحد من خصومه الألداء ، أن يتخذ من زواج محمد صلعم بعائشة مطعنا أو منفذا للتجريح والأتهام ، وهم الذين لم يتركوا سبيلا للطعن إلا سلكوه ، ولو كان بهتانا وزورا ...

"وماذا كان عساهم أن يقولوا؟ ..

"هل ينكرون أن تخطب صبية كعائشة ، لم تتجاوز السابعة من عمرها على أبعد تقدير ؟ [٦٩]

لكنها قد ذكرت قبل أن يخطبها (محمد بن عبد اللة) على (جبير بن مطعم بن عدي) بحيث لم يستطع ألو بكر أن يعطي كلمته لخولة بنت حكيم ، حتى مضى فتحلل من وعده لأبي جبير [٧٠]

---

[69] ولدت عائشة بمكة بعد أربع سنين أو خمس من أعلان الأسلام (توفيت سنة ٥٨ه\٦٧٨م) سميت (أم المؤمنين) . كانت المحرضة على علي بن أبي طالب بعد مقتل عثمان وهي صاحبة الجمل في الموقعة التي سميت بموقعة الجمل . عدت عند فريق من المسلمين مرجعا في الروايا والحديث.

"فهل ينكرون أن يكون زواج بين صبية في سنها وبين رجل اكتهل وبلغ الثالثة والخمسين ؟
وأي عجب في مثل هذا وما كانت أول صبية تزف في تلك الليلة إلى رجل في سن أبيها ، ولن تكون كذلك أخراهن ؟ لقد تزوج عبد المطلب الشيخ من هامة بنت عم آمنة في اليوم الذي تزوج فيه عبد اللة أصغر أبنائه من ترب هالة (آمنة بنت وهب).
وسيتزوج عمر بن الخطاب من بنت على بن أبي طالب وهو في سن فوق سن أبيها .
ويعرض عمر على أبي بكر أن يتزوج ابنته الشابة حفصة وبينهما من فارق السن مثل الذي بين الرسول وعائشة "[٧١] [٧٢]

عصابة تهندس لنفسها كما تشاء ، وتفعل ما تشاء .

سؤالنا يا سيدتنا الأديبة ، عن تلك الطفلة التي ألقوا بها إلى حضن محمد – الكهل ، مثلما قلت : إننا نسأل عن مصير تلك السيدة – الطفلة ، عن مستقبلها ، عن آلامها وأمراضها النفسية التي سببها لها هذا الزواج الجائر المتسلط .

---

[70] فلو رجعنا الى حديث (خولة بنت حكيم) رسولة محمد الى ابي بكر وزوجته ام رومان ، تخطب له عائشة ، وقرأناه بدقة ووعي لأتضحت المسألة . تقول خولة : دخلت بيت أبي بكر فوجدت ام رومان ام عائشة فقلت لها : أي ام رومان ، ماذا أدخل اللة عليكم من الخير والبركة ! قالت : وما ذاك ؟ اجبت أرسلني رسول اللة أخطب له عائشة ! فقلت : وددت ، انتظري ابا بكر فانه آت .. وجاء ابو بكر فقلت له : يا ابا بكر ماذا أدخل اللة عليك من الخير والبركة ! ارسلني رسول اللة أخطب عائشة .. قال وقد ذكر موضعه من الرسول : - وهل تصلح له ؟ .. انما هي ابنة اخيه .. فرجعت الى رسول اللة فقلت له ذلك فقال : ارجعي اليه فقولي : انت اخي في الأسلام ، وانا اخوك وابنتك تصلح لي.
فأتيت ابا بكر فذكرت له فقال : - انتظري حتى ارجع .. وقالت ام رومان تجلو المواقف للخطبة : - ان المطعم بن عدي كان قد ذكر عائشة على ابنه جبير ولا واللة ما وعد ابو بكر شيئا قط فأخلف . فدخل ابو بكر على مطعم وعنده امرأته ام جبير – وكانت مشركة – فقالت العجوز : - يا ابن أبي قحافة ، لعلنا ان زوجنا ابننا ابنتك ، ان تصبئه وتدخله في دينك الذي أنت عليه؟ .فلم يرد عليها ابو بكر بل التفت الى زوجها المطعم فقال : ما تقول هذه ؟ أجاب : انها تقول ذلك (ما سمعت) . فخرج ابو بكر وقد شعر بارتياح لما احله اللة (؟) من وعده ، وعاد الى بيته فقال لي : أدعى لي رسول اللة فمضيت الى الرسول فدعوته فجاء بيت صديقه ابي بكر فانكحه عائشة وهي يومئذ بنت ست سنين أو سبع وكان صداقها خمسمائة درهم " (الطبري ٣\١٧٦-١٧٧، السمط ٣١، السيرة ٤\٢٩٣، الأصابة ٨. (بنت الشاطئ : المصدر نفسه ، ص ٦٢) .
[71] ص ٦٦-٦٧
[72] هناك مصادر شيعية على الأخص تشير الى ان النبي تزوج عائشة ثم حفصة ليضمن لنفسه صداقة أبي بكر وعمر.

ستقولين : إنها مشيئة اللة . أليس كذلك ؟

ولكن الكارثة التي حلت بنا نحن المسلمين بدأت من هناك من زواج جائر ... سبقه زواج جائر مثله ... وتلاه زواج على هذا النمط الفاجع الفاجر . ثم آخر ، حتى الثاني عشر ... وكان كل زواج يتم بأمر اللة ومشيئته ، إنها الكارثة حقا ، المسلمات العمياء ، الطوق في العنق ، القفل على الشفتين ، مشيئة اللة والرسول !

ما رأي سيدتنا الأديبة لو جاء رجل في العقد السادس أو الخامس يعمل قاضيا شرعيا في الأزهر ، يخطب طفلتها بنت العاشرة أو الثانية عشرة ، ولا نقول السابعة ؟ هل ستوافقين يا سيدتنا الأديبة ؟

جوابك أخذناه من كتابك نفسه ... وأنت تعلقين على بعض المستشرقين . نطلع القراء عليه .
تقول السيدة الأديبة بنت الشاطئ :
"لكن نفرا من المستشرقين يأتون بعد نحو ألف وثلاثمائة عام من ذلك الزواج فيهدرون فروق العصر والإقليم ، ويطيلون القول فيما وصفوه بأنه (الجمع الغريب بين الزوج الكهل والطفلة الغريرة العذراء) ويقيسون بعين الهوى ، زواجا عقد في مكة قبل الهجرة ، بما يحدث اليوم في الغرب المتحضر ، حيث لا تتزوج الفتاة عادة قبل سن الخامسة والعشرين وهي سن تعتبر حتى وقتنا هذا جد متأخرة في الجزيرة العربية ، بل في ريف مصر وأكثر مناطق الشرق . وهو ما أدركه مستشرق منصف زار الجزيرة وعاد يقول :
"كانت عائشة على صغر سنها نامية ذلك النمو السريع الذي تنموه نساء العرب ، والذي يسبب لهم الهرم في أواخر السنين التي تعقب العشرين ...
ولكن هذا الزواج شغل بعض المؤرخين لمحمد ...
نظروا إليه من وجهة نظر المجتمع العصري الذي يعيشون فيه ، فلم يقدروا أن زواجا مثل ذاك ، كان ولا يزال عادة أسيوية ، ولم يفكروا في أن هذه العادة لا زالت قائمة في شرق أوروبا ، وكانت طبيعية في اسبانيا والبرتغال إلى سنين قليلة ، وإنها ليست غير

عاديـة اليـوم ، فـي بعـض المنـاطق الجبليـة البعيـدة بالولايـات المتحدة "[٧٣]

لو ترى السـيدة (بنـت الشـاطئ) كيـف تـنقض نفسـها بنفسـها . عادات وتقاليد من الماضي تأبى أديبتنـا إلا فرضـها علينـا أمـرا مـن اللة محكما .

ولا يزال المسلمون يتمسكون بكل ما دعا إليه محمد وفعل ، فهم يبذلون الغالي والنفيس من أجـل المثـابرة علـى طريقـه المظلمـة والمخيفة . إلا أن زواجا مثل زواج عائشـة مـن محمـد ، فلهـم منـه اليوم موقـف غيـره عـن الماضـي ، إنهـم لا يقبلونـه لبنـاتهم أبـدا ، وهم على حق في ذلك بينما محمد عندهم هو المعصوم والمنـزه عـن الخطـأ والفعـل الشـنيع . فـأي مجتمـع نبنـي لـو كنـا نحـن المسلمين نزوج أطفالنا كما تزوجت عائشة من النبي ؟

وليس زواج محمـد مـن عائشـة الكارثـة الوحيـدة التـي خلفهـا لنـا النبي وخلفاؤه الأبرار.

محمد يغتصب عائشة :

لقد اغتصب (violated) محمد (النبي) الطفلة عائشة ليـتخلص من العقد النفسية والجنسية التـي ألمـت بـه ، خـلال زواجـه مـن خديجة ، وبعد وفاتها . وسـنحاول بقدر ما سمحت لنا الظـروف مـن جهة والمصادر من جهة أخرى ، أن نلقي بعض الأضواء على هـذه العملية الأفتراسـية والأجواء التي رافقتها .

لا شـك أن محمدا تحرر من خديجـة ، الكـابوس – مـذ لفظـت هـذه السـيدة نفسـها . إلا أنه وقع ضحية الشـوق إلى فض بكارة والـزواج من عذراء ، وليس الأمر الثاني أسـهل من الأول .

(النبي) المعقد جنسيا لم يفكر في عذراء تكون شـابة وناضجة ، إذ أنه ، وهو المعقد ، يخشـى الزواج أو ممارسـة الجنس مع صـبية مكتملة ، وسـيرتبك ، حتمـا ، ويضـطرب عنـدما ينظـر إلـى ردفيهـا

[73] ص ٦٧-٦٨ . والمستشرق الذي نشرت بنت الشاطئ قوله هو (Bodley, R.V.E.) له (الرسول – حياة محمد) في ٣٦٨ صفحة . آمن في مقدمته بسلامة العقيدة الإسلامية ، وضل بعد في تفسير الزكاة والجنة والنار والقضاء والقدر (لندن ١٩٤٦) أنظر "المستشرقون" ، الجزء الثاني ، طبعة ٤ موسعة ١٩٧٩ ، دار المعارف بمصر ، تأليف نجيب العقيقي .

الكتنزين وصدرها العامر ، لأعتقاده بأن مواقعة صبية تضج بالدفء والحياة عمل مستحيل فهو قوية وهو ضعيف . وهي جريئة وهو متردد ، وهي مطمئنة وهو قلق ممزق العواطف والمشاعر . وإن الشعور بالعجز لهو العجز نفسه ، بينما الشعور بالقوة هو القوة عينها .

فما الحيلة إذا ؟

يجب أن يكون هنالك حل .

وكي يكون الحل المطلوب ، لابد من ضحية ، والضحية موجودة ، إنها عائشة بنت أبي بكر ، الطفلة الببغائية (Verbalism) التي لا تملك سوى القبول والإستسلام ، وفيها تتوافر الشروط ((المحمدية)) جميعها : هي طفلة لم يدخل قلبها الحب ، وبدون ارادة (involuntary) وبريئة ، وضعيفة ، وليست ذا جسد صارخ ومتطلب ، هذا فضلا عما لدى أبي بكر والد عائشة من أموال ونفوذ ، لا يستطيع محمد الأستغناء عنها .

تذكرها محمد جالسة على ركبتيه ، تعبث بشعر لحيته ، إذ كان (النبي) كلما جاء منزل صديقه أبي بكر ينادي عائشة كي تقبله ... وترفه عنه بغنجها ودلالها . وكانت عائشة ، كما سائر الأطفال ، ميالة إلى ذلك ، بالغريزة والطفولة . مع عائشة الطفلة كان محمد يسترجع أيام المراهقة فتنتفض مشاعره المكبوتة ، ويحتله الشوق إلى تلك الأيام الغابرة ، ليمزقه الحنين إلى امرأة لم يعرفها أحد سواه . يدا محمد على فخذي عائشة ، على بطنها ، على صدرها ، رأس عائشة بين يدي محمد ، وجه عائشة يتشعل ، كذلك وجه محمد ، ويسأل (النبي) نفسه عن مشكلته ... فيما عائشة تهيجه وتثيره (arouse) .
صورة عائشة الغنجة لم تفارق محمدا ، وكيف تفارقه ومعها كان يستعيد ثقته بنفسه ومتعته (pleasure).
بعد التأمل والتفكير عزم (النبي) على أن يغتصب عائشة ، ليتحرر من عقدة المتحكمة في طاقته الجنسية . ترى هل وجد الحل؟
بلى . لقد حل محمد مشكلاته النفسية كافة ، واستعاد فحولته الصحراوية فأخذ يتنقل من امراة إلى أخرى . بعد خديجة وسودة

وعائشة ، تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب [٧٤] (حافظة المصحف) ثم زينب بنت خزيمة (أم المساكين) [٧٥]، ثم أم سلمة (بنت زاد الركب) [٧٦] ، ثم زينب بنت جحش (الشريفة الحسناء) [٧٧]، ثم جويرية بنت الحارث (سيد بني المصطلق) [٧٨]، ثم صفية بنت حيي (عقيلة بني النضير) [٧٩]، ثم أم حبيبة (بنت ابي سيفان) [٨٠]

---

[74] أرملة الصحابي الجليل خنيس بن حدافة بن قيس بن عدي السهمي القرشي . هاجر هذا الجليل الى الحبشة مع المهاجرين الأولين إليها ، ثم إلى المدينة . وشهد معركة أحد . مات في دار الهجرة من جراحة أصابته في أحد . وكانت حفصة في الثامنة عشر من عمرها ويروى أن عمر بن الخطاب تألم لأبنته الشابة فعرضها على أبي بكر فأمسك الأخير ولم يجب. ثم عرضها على عثمان بن عفان (لعل اللة قد اختار لحفصة عثمان وهو – تعالى – يعلم أي الرجلين أصلح للأرملة) فاتذر عثمان قائلا "ما أريد أن أتزوج اليوم " وكاد عمر أن ييأس .. لو لم يتلقها محمد الذي قال (لعمه) عمر : "يتزوج حفصة من هو خير من عثمان " الأستيعاب ١٨١١\٤ ، السمط ٨٣.

[75] هي الأخرى ارملة شهيد من شهداء احد يختلف المؤرخون في زوجها الشهيد : قيل هو عبد اللة بن جحش ابن عمة الرسول واخو زوجته زينب . (الأصابة ٩٤\٨ والأستيعاب ١٨٥٣\٤) . وقيل "كانت عند الطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف . ثم خلف عليها شقيقه عبيدة بن الحارث (الطبري ٣٣\٣، ١٩٧، وفي رواية ثالثة : "كانت قبل الرسول عند عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عبيدة عند جهنم بن عمرو بن الحارث ، وهو ابن عمها " ابن هشام ٢٩٧\٤.

[76] اسمها هند بنت ابي أمية بن المغيرة بن عبد اللة بن عمر بن مخزوم ، ارملة أبي سلمة ، عبد اللة ابن عبد الأسد بن هلال بن عبد اللة بن عمر بن مخزوم ، الصحابي ذي الهجرتين ، ابن عمة الرسول : برة بنت عبد المطلب بن هاشم وأخيه من الرضاعة ، أرضعتهما ثويبية ، مولاة أبي لهب ، كما مر معنا .

[77] حكاية هذه "الشريفة" غريبة ، زوجها محمد من مولاه زيد بن حارثة بن شراحبيل بن كعب ، بحجة تحطيم فوارق الطبقات ، اذ أن زينب ، ابنة عم محمد شريفة أما زيد فعبد . ومحمد على كل ، (يريد اعلاء كلمة الإسلام) مهما يكن الأمر . سواء على حساب بنت جحش او على حساب غيرها . وقد روى عن زواج محمد من هذه الشريفة ما يثير العجب . نقل الطبري "ان الرسول جاء يطلب زيدا (وهو يعلم ان زيدا ليس في البيت) وعلى باب زينب ستر من شعر ، فرفعت الريح الستر فانكشف عنها وهي في حجرتها حاسرة ، فوقع اعجابها في قلب الرسول صلعم " ٤٣\٣ انظر مدخل الكتاب .

[78] هي برة بنت الحارث بن ابي ضرار . وقعت اسيرة اثر حرب بين المسلمين وني الصطلق. دخلت منزل محمد تشكوه قائلة "يا رسول اللة ، انا بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك فوقعت في السهم لثابت بن قيس ... فكاتبته على نفسي ، فجئتك استعينك على أمي " (السيرة ٣٠٧\٣) ولما كانت الأسيرة (جويرية) ذات جمال باهر وخلاب ، (أقضى عنها كتابتها) وتزوجها .. بأمر من اللة . (بنت الشاطئ ، ص ١٦٠،١٦١) .

[79] هي الأخرى اسيرة ، يهودية من خيبر . ينتهي نسبها الى هرون أخي موسى ، وامها برة بنت سموءل . (السيرة ٣٤٤\٣) . تزوجت اولا من فارس قومها وشاعرهم (سلام بن مشكم) ثم خلف عليها (كنانة ابن الربيع بن ابي الحقيق) صاحب حصن (القموص) اعز حصن في خيبر . أمر محمد بقتل كنانة ، ولما جيء بالنساء الأسيرات ، ومرت صفية ، من امام محمد ، بصمت ... تناولها والقى عليها عباءته ... وأخذها الى بيته فتزوجها . (الطبري ٩٤\٣، السيرة ٣٥١\٣) .

، ثم مارية القبطية (أم إبراهيم) [٨١]، ثم ميمونة بنت الحارث (آخر نساء النبي) [٨٢] [٨٣]

لقد أخذ بنا الحديث وتشعب . فما ينبغي أن نقوله ، في هذا الموضوع هو أن محمدا ، كما يتضح من خلال تنقله بين النساء ، قد حرر نفسه من العقد والأزمات العاطفية التي عاناها ، ويعود الفضل في ذلك إلى السيدة عائشة (أم المؤمنين) التي وهبها والداها ، أبو بكر وأم رومان ، لمحمد علاجا عظيما فوهبته المرودة ... والعملقة (Gigantism).

اللة والجنس والنبوة :

اللة مع محمد ، مع نساء محمد ، اللة حق ، الحق مع محمد ، الحق مع نساء محمد . أين الجنس؟ لماذا أرسل المقوقس القبطي ، مارية وسيرين وذهبا إلى محمد ؟ لماذا ألقى محمد عباءته على الأسيرة صفية ؟ لماذا استولى محمد على الأسيرة

---

[80] هي رملة بنت ابي سفيان ، زوجها عبيد اللة بن جحش الأسدي ، ابن عمة محمد ، اسلم عبيد اللة واسلمت معه رملة ، وهاجر الى الحبشة ، لكن عبيد اللة ارتد الى النصرانية ، علم محمد بالأمر فكتب الى النجاشي ان يزوجه من ام حبيبة . ولما تم ما أراد عادت رملة الى بيت زوجها الجديد – النبي. الطبري ٣\٨٩١، الأصابة ج٨، السمط ٩٧-٩٨. أنظر مداخل الكتاب.

[81] هي مارية بنت شمعون لأب قبطي وأم مسيحية رومية ، ارسلها المقوقس (عظيم القبط) هي وأختها (سيرين) هدية الى محمد . ويقول في رسالته (قد كنت أعلم ان نبيا قد بقى ، وكنت أظن انه يخرج بالشام ، وهناك كان مخرج الأنبياء ، فأراه قد خرج من ارض العرب .. ولكن القبط لا تطاوعني ، وأنا اضن بملكي فلن أفارقه ..) .. فأتخذ محمد من مارية زوجة .. ووهب سيرين الى شاعره حسان بن ثابت . الطبري ٣\٨٥، السمط ١٤٠ . وقد انجبت مارية لمحمد ولدا غلاما دعاه "ابراهيم" مات في عامه الثاني . انظر مدخل الكتاب.

[82] هي برة بنت الحارث بن حزن الهلالية المضرية . كانت ارملة في السادسة والعشرين من عمرها . زوجها الذي مات عنها هو ابورهم بن عبد العزى العامرى . تزوجها محمد عندما عاد الى مكة . سماها ميمونة اذ كان زواجه منها بمناسبة دخول مكة ، لأول مرة منذ سبع سنين . السيرة٤\١٤ . الطبري ٣\١٠١.

[83] ويقال أيضا ان اثنتين لم يدخل بهما محمد : اسماء بنت النعمان الكندية ، تزوجها فوجد فيها بياضا ، (لا نعرف ما هو هذا البياض . هل هو بياض بين فخذيها ، مرض نسائي ، ام البرص؟) فمتعها وردها الى اهلها ، وعمرة بنت يزيد الكلابية ، وكانت حديثة عهد بكفر ، فلما قدمت على رسول اللة استعاذت من رسول اللة ، (وربما الفته عاجزا جنسيا أو في حالة تشبه العجز) ن فقال رسول اللة : "منيع عائذ باللة " فردها الى اهلها . ويقال : ان التي استعاذت من رسول اللة كندية بنت عم لأسماء بنت النعمان .

ويقال ان رسول اللة دعاها فقالت : اننا قوم نؤتي ولا نأتي ، فردها رسول اللة الى اهلها . (ابن هشام ، مختصرة ، ص ٧٩٤) .

جويرية وتزوجها ؟ لماذا يكتب النبي إلى النجاشر يطلب منه أن يزوجه على أم حبيبة ؟

ألأن اللة قد شاء ذلك ، أم هي مشيئة الجنس ... (الشبق) الذي فلت من بين القيود والعقد ؟

يظهر أن النبي كان ينادي بانتهاء عهد الكبت والقهر عند الرجل وسيادة الغريزة الحيوية على العقل ، ويدعو إلى إحياء قدرات الإنسان الخيالية في مقابل قدراته المنطقية ، ويجعل من الأستمتاع بالحب والجمال هدفا أسمى لحياة الإنسان .

إن زواج محمد من هذا العدد من النساء ... يصلح لأن يكون أساسا لجزء من فلسفة هربرت ماركيوز [٨٤] الداعي إلى إزالة القيود والتحريمات عن الجنس ، والمطالب بسيادة الجنس ، إذ هو يحصر الطبيعة الإنسانية في البعد الجنسي الشبق [٨٥]

والذي يثير العجب هو ادعاء المؤرخين أن ليس في حياة محمد منذ نشأته وحتى نهاية عقده الرابع ، حوادث اجتماعية تستدعي البحث والأستفسار ، سوى زواجه من خديجة ، وإعلانه نفسه رسول من اللة ، فالأمور عند هؤلاء المؤرخين حدثت فجأة :
وحي من اللة نزل على محمد والناس في أعمالهم منشغلون ... وفي قضاياهم لاهون . مثل البرق الخاطف كانت تأتيه الأوامر من عند اللة .

أمره اللة أن يتزوج من خديجة ففعل بما أمر . أنزل عليه الإسلام ودعاه أن يبلغ الناس ... فأسلم وبلغ . كذلك أمره بالزواج من عشر نساء وطفلة ، بعد خديجة ، فنفذ الرسول الأوامر ، كلا في وقته ، مطيعا من غير تزمر أو تأفف ، وأنى له أن يتأفف أو يعتذر .... وهو الرسول الذي (بعثة اللة رحمة للعالمين) ؟!

---

[84] هربرت ماركيوز Herbert Marcuse فيلسوف امريكي من اصل يهودي الماني (١٨٩٨-١٩٧٩) . دعا الى احداث تغييرات ثورية في المؤسسات الأجتماعية .

[85] د. قيس هادي احمد : الإنسان المعاصر عند هربرت ماركيوز ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، طبعة اولى ١٩٨٠. ص ٢٢٠.

مسلمات (Postulates). مسلمات . جدار ضخم يقف بين الإنسان ونبالة حسه وشعوره . يفرض عليك أن تصدق . ويفرض عليك أن تقبع آمنا مطمئنا .

فهذا ، مثلا ، الأستاذ أحمد السيد يردد ما قاله ويقوله المؤرخون :
"وقد سارت حياة هذا الناشئ (محمد) سيرة عادية فمرت عليه السنون وتوالت الأعوام بدون حادث اجتماعي يلفت النظر ، وأقصى ما روي أنه سافر في بعض رحلات القوافل إلى الشام حينا وإلى اليمن حينا آخر . وانتهى به المطاف بزواج السيدة خديجة بنت خويلد وهي من فضليات نساء قريش وأغناهن . فعاش معها في خفض من العيش ، ورزق منها البنون (هكذا وردت) والبنات مات بعضهم كما يموت الأبناء وعاش البعض كما يعيش الأبناء " [٨٦]

نحن لا نطالب بنبي يختلف عن الناس ما دام إنسانا . وإنما نطالب بالكشف عن أحداث تلك المرحلة من حياة محمد ، التي لا تزال غامضة .

ويقول أحمد السيد ايضا :
" وهكذا انقضى شباب سيدنا محمد وولى وأشرف على نهاية العقد الرابع من عمره دون ان يبدو من امره شيء خارق أو خارج عن المألوف في قومه إلا اشتهاره بالصدق والأمانة ومعنى ذلك أن المطالع لسيرة سيدنا محمد يجد نفسه إزاء شخص لا يكاد يسجل له التاريخ حدثا هاما ، والطابع الذي يميز حياته أنه لم ينشغل بطلب العلم كبقية مواطنية ، إلا النادر القليل منهم ، فهم شعب أمي لا يقرأ ولا يكتب "

هذا الأصرار على أمية محمد لا يخدم مصلحة الإنسان بل يخذلها ويجمدها . نحن نؤمن بان للإنسان طاقة لو أطلق لها العنان لأتت بالمعجزات . ومحمد على كل حال لم يعش في غابة نائية عن الناس ، وإنما في بلد اشتهرت بالتجارة وحركة المواصلات والنقل .

---

[86] أحمد السيد المصدر السابق ص ٧٧-٧٨.

ومحمد هو ابن تلك البلاد العظيمة والعريقة ، وابن قريش ذات السيادة الدينية والتجارية ، وصاحبة اللهجة التي غلبت اللهجات العربية كلها ، لا ابن الكهف أو الغول أو حورية البحر (Kalypso) [٨٧]. وليس محمد كفتى غابات أفيرون (Aveyron) الإنسان – الحيوان . بل هو ابن مدرسة دينية وسياسية واجتماعية ذات جذور ضاربة في التاريخ والأرض .

إليك قصة فتى غابات افيرون (Aveyron):

"في أواخر القرن الثامن عشر أثناء ظهور البوادر العلمية الأولى لفهم التطور العقلي والإنفعالي للإنسان عثر بعذ القناصة على طفل فى الثانية عشرة من العمر ، يجوب غابات أفيرون ، خارج مدينة باريس بفرنسا . وكان الطفل لا يتحرك إلا على يديه وقدميه ، يطلق أصواتا غير مفهومة تصدر عادة من حيوانات المنطقة ، ويهاجم بأسنانه وأظافره كل من يقترب منه . عندما عرض على فيليب بينيل (Philippe Pinel) (١٧٤٥-١٨٢٦) وهو من مشاهير الأطباء النفسيين الفرنسيين ، شخص الطفل على أنه حالة تخلف عقلي عميق غير قابلة للتحسن . ولكن تلميذه إيتار رأى ان شدة التخلف العقلي عند الطفل لم يكن سببها إلا انعزاله عن المجتمع الحضاري وحرمانه ، وبالتالي ، من تكوين استجابات اجتماعية يتعلمها الأطفال الآخرون لتعرضهم المستمر للمثيرات التي تولدها . ومع أن إيتار نشر ورقتين في سنة ١٨٠١ وسنة ١٨٠٧ تعبران عن خيبة أمله الشديدة لإخفاقه في تعليم الطفل الأعتماد الكامل على نفسه ، إلا أن الأكاديمية الفرنسية للعلوم أجمعت على أن الطفل أظهر تقدما ملحوظا عن الحالة التي وجد عليها . فقد تعلم المشي منتصبا وأصبح ينطق كلمات بسيطة . ويتعامل مع الأفراد المحيطين به بأسلوب أكثر تحضرا ، حصل هذا كله مع أنه كان متخلفا عقليا " [٨٨] وبقى طفل أفيرون على مرتبته الحيوانية .

بعد هذه القصة نسال :

---

[87] وهي في الأنكيزية (Mermaid) مخلوقة بحرية خرافية لها جسد امرأة وذيل سمكة .
According to popular belief , Mermaids had bodies that were half human and half fish (W.B.Encyclopedia V. 13 PP 342-343)

[88] د.الفت حقي : ثقافة الطفل ، مجلة عالم الفكر ، المجلد العاشر ، العدد الثالث ، ص ٥٣

- هل كان محمد أميا فعلا ؟
- كيف صار محمد بليغا وخطيبا وزعيما ؟

العلم ، اذن ، لا يؤمن بتلك المسلمات (Postulates) الطاغية على عقولنا . الطفل ابن بيئته . ابن بيئته . ابن مدرسته . وتاليا ابن كل ذلك العالم الذي يحيط به [89].

"ومنذ أجيال طويلة موغلة في القدم ظهر الكائن الذي يسمى الإنسان الحكيم ، هذا المخلوق المتأخر في الزمان الذي انجبته الكائنات الحية والذي كان لابد أن يسيطر على الأرض ، أنه لم يكف عن تنمية علاقاته بالعالم الخارجي في نفس الوقت الذي أخذ ينتظم في جماعات ظلت تتسع وتتعقد يوما بعد يوم . وإذ تعلم ان يقهو القوى المادية وان يهذب غرائزه ويستخدم عقله ، وإذ خلق الصناعات والتقنيات والعلوم والفنون والفلسفات والقوانين والأخلاق بكل أجزائها أخذ يبتعد عن أصوله المتواضعه الأولى وظل يمعن عنها بعدا وبعدا " [٩٠]

هل أنقطع محم عن العالم الخارجي ؟

كيف صار محمد رسول اللة ؟

هل محمد إنسان أم لعبة بيد اللة ؟

هل محمد نبي ، أم زعيم سياسي ؟

إلى متى سنبقى هكذا ((آمنين مطمئنين)) وقد جمع محمد ((المعجزات الثلاثة)) : اللة والجنس والنبوة ، وكرس نفسه ((سيد العالمين)) و((خاتم المرسلين)) ؟

من أين جاء الأسلام ؟

---

[89] "فافنسان يكتسب ممن يحيطونه اكثر العادات والآراء .. ويستقي من اخلاقهم وعاداتهم ، ولا يستقيم له البقاء الا بمعايشة بيئه اجتماعية رضيها ام لم يرضها وارتضته ام لم ترتضه " (انظر روح العروبة تأليف عبد اللطيف شرارة ص ٢٢ ـ٢٣

[90] Rostand , Jean : L, Homme.
ترجمة إلى العربية الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا ، بعنوان "الإنسان " ... منشورات عويدات ، الطبعة الأولى (١٩٦٥) ص ١٢٧.

الأستاذ أحمد السيد نفسه يقول أيضا بلسان المؤرخين المسلمين جميعا :
"وفجأة ، وفي هذه الفجاءة السر كل السر ، إذا هذا الرجل الذي جاوز سن الشباب بحماسته وأوهامه وخيالاته واندفاعاته ، ودخل في مرحلة الرجولة ، حيث يسيطر العقل (؟) وتهدأ العواطف الثائرة (؟) وتبدد الأحلام والأوهام ، فيتقبل الحياة والأوضاع كما هي ، ولكن سيدنا محمدا يشذ عن المألوف وسنن الحياة ، فإذا به ينقلب في رجولته ، بين عشية وضحاها إلى بركان ثائر فوار يغلي بالحياة في أرفع مظاهرها ، ويرمي بالنار الشرر والحمم ضد الأباطيل والفساد والضلال والشرك باللة وعبادة الأصنام التي كانت هي دين العرب [٩١]، ويبشر بالنور نور الإيمان باللة الواحد الأحد ، الفرد والصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد ، المنزه عن الحلول والشبيه والجسد " [٩٢]

وهكذا تم القضاء على المستندات ، والوقائع ، ذات الإشارات الجريئة الصريحة . وانقرض كل من عنده العلم أو بعضه . وجوه كريمة غيبها "التأريخ " . فيما برزت وجوه وتألقت أخر ، وهي غير جديرة بما أعطيت .

- بحيرا ، ذلك الراهب الجليل ، صاحب البيان الخطير "إن الجنة خلف هذا الجبين (يقصد محمدا) ، فاحفظه من عيون الشائنين " [٩٣] ماذا حل بديره وكتبه وسجلاته ؟
- ورقة بن نوفل ، أسقف مكة ، سيد حراء ، ماذا فعلتم به أيها المؤرخون ؟

"لم يختل وحده – محمد – في غار حراء ، فلقد كان معه : ثويبية ، وحليمة السعدية ، وأم أيمن ، وأبو ذؤيب ، وجميع الفتيان الذين تراكض معهم في البادية حول الخيام وفي رعاية الأغنام (....)

---

[91] نسي الأستاذ أحمد السيد أن من العرب من كان يدين باليهودية وان فريقا آخر كان يدين بالنصرانية ، وان فريقا ثالثا كان يؤمن بوحدانية اللة دون ان يعتقد بأي دين سوى الوثنية . وقد قال الأستاذ خزعل الماجدي : ((... والتوحيد لم يبدأ بالأسلام ولكنه انتهى بالأسلام)) (مجلة آفاق عربية ، المصدر السابق ص ٣٦) .

[92] أحمد السيد : المصدر السابق ص ٧٨.

[93] قالها بحيرا ل (أبو طالب) وكان محمد في الثانية عشرة من عمره . انظر "محمد شاطئ وسحاب " كتاني .. المصدر السابق ص ١٠٨.

وكان معه ميسرة وجميع الغلمان الذين كانوا يقطعون أوصالهم على دروب القوافل " [٩٤]

نحن أيضا نقول : كذلك . إلا أننا نحاول أن نذهب أعمق مما تقولون . ندعو إلى الأستقراء (Induction) والأستنتاج (Deduction) . نطالب بإعادة النظر في كل ما كتب ، وما ادعاه المحدثون . والمقربون من محمد وصحبه وآل بيته . الحقيقة ملك الجميع . الحقيقة ليست ناقة ولا امرأة . ولا هي بئر نفط . سيرة محمد ، الرجل الذي غير وجه التاريخ ، في هذه المنطقة من العالم ، ليست كما صنعوا ودبجوا فحسب بل هي تراث عظيم . شارك في صناعته رجال مخلصون ، سخروا علمهم وكفاءتهم وثقافتهم ومعرفتهم ، وإمكاناتهم كافة في سبيل إظهار دين جديد ، إما ليوحدوا تلك المذاهب والمعتقدات التي تعددت بسبب الخلافات الدائرة بين رؤساء هذه المذاهب وساداتها ، وغما ليخلقوا قوة جديدة قادرة على حسم الصراع العقائدي ، الذي تحول ، ياللأسف ، مجازر ومذابح ونكبات وتهجيرا وتدميرا . وإذا الإسلام مجموعة روافد ، شرقية وغربية ، جنوبية وشمالية ، انطلقت من منابعها هدارة ، إثر اضطهادات غاشمة ، وأحكام تعسفية ، وتدابير جائرة ظالمة ، فصبت في مكة "أم القرى" ، البلد المناسب ، والملائم ، أرضا وشعبا ومناخا.
شمس مكة تغلغلت بين الرمال في خيوطها من كل مكان ولون فيها من ابراهيم وجميع الفرق اليهودية . فيها من تقاليد المجوس وعاداتهم وعباداتهم . من الخرمندية مذهب التناسخ والحلول . من المسخية المعتقدة بانمساخ النور إلى ظلمة . من الزردشتية مذهب القوة والتفوق . من الساسانية والثنوية ، المنادية بأزلية النور والظلمة . من المانوية التي تجمع بين النصرانية والمجوسية . من الأشتراكية المزدكية المتطرفة . ومن الكينونية التي ترى أن أصول الخلق وقواعده ترتكز على النار والأرض والماء .

وفي خيوط تلك الشمس (شمس مكة) أيضا من النصرانية (المسيحية اليهودية) القائلة بان يسوع هو مخلص زمني وكا جاء إلا ليكون ملكا على اليهود . ومن النيوستيكية التي هتفت تقول : "المخلص منبثق من الروح وهو غير المسيح الإنسان" من بقايا

[94] كتاني : المصدر نفسه ص ١٢٨.

آريوس ، الأسقف الخطيب الذي نادى بملء صوته : "الأبن هو دون الآب" . ومن النسطوريين والملكانيين والسريان "المستقيمين".
كم حملت خيوط تلك الشمس من غبار المعارك العقائدية التي بدأت بين أنطاكية والأسكندرية ن وظلت تتصاعد حتى دخلت القسطنطينية ، ثم ضمت جميع البلدان والمناطق آنذاك احتدمت المناقشات (الميتافيزيقية) (البيزنطية).
فريق صاح : أشرق النور على جسد المسيح وهو مغاير لأتحاد الكلمة . وفريق آخر رد يقول : لقد استحالت الكلمة إلى لحم ودم فصار الإله هو بالذات المسيح [٩٥].
على "أن الفكر لا ينشأ من فراغ ، أو مستقلا عن الظروف الموضوعية – الإجتماعية والسياسية – التي يكون هذا الفكر نفسه استجابة لها ومحاولة للتصدي لها تغييرا أو تأييدا " [٩٦]

من مكة كان محمد يتطلع إلى بلاد فارس وسوريا والحبشة ومصر فأدهشته المجادلات الحامية التي شغلت الملوك والأساقفة والشعوب . هاله الأمر ، فأنطلق يبحث عن مصادرها وأهدافها ، يدفعه حب الأطلاع والحرمان ، واليتم ، والأغتراب ، فكان ن الطبيعي أن يهتدي إلى من عنده الجواب على تساؤلاته ... إذ ذاك وجد نفسه على الطريق . فعزم على السير تحت وطأة الشوق إلى المجد والعظمة والسيادة ، بعد أن استقر في بيت خديجة ونعم بمالها وتجارتها وجاهها فشعر ببعض التناسق أو التآزر (Co- ordination) . وهو من هو . ابن قريش القابضة على تاريخ الجزيرة وقلبها وحياتها . ولما كانت المسيرة محفوفة بالمصاعب ومحاطة بالأسرار العميقة تغير سلوك الفتى الأسمر ، إذ تفاعلت فيه التناقضات تخالطها الأحلام والأمنيات . فكما المريض الذي يعالج بالصدمات الكهربائية ، كان محمد في علاقاته مع عمه أبو طالب وأشراف مكة وصغارها . وربما مع خديجة أيضا . هذا الفتى التغييري (Revolutionist) حرم – قبل زواجه من خديجة – من النوم الآمن والأستقرار والطمأنينة ... مما أثار مخاوف العم ابو طالب وأربكه ... حيث كان يعلم خطورة هذا الأمر وصعوبته والمتاعب التي ستنجم عنه . فما يصبو إليه الفتى محمد هو في نظر ابو طالب محال ... لا يتعدى الحلم .

---

[95] كتاني المصدر السابق ، ص ١١٤- ١١٥.
[96] د. نصر حامد ابو زيد : الأتجاه العقلي في التفسير ص ١١

هذه المرحلة الدقيقة ، الغاية في الدقة ، المتشابكة خيوطها ، المعقدة خلاياها ووحداتها وجزئياتها ، استأثرت بالقسم الأكبر من حياة محمد ...

على امتداد أربعين عاما من التكتم والحذر والدرس والتصميم والأتصالات السرية ، والتفكير ، والتأمل والتمحيص ، والتأليف والبناء والترجمة والمراجعات ، والتطبيق والتدريب ، والتعليم والنقد والغربلة والتحليل ظل محمد وجماعة من (الراسخين في العلم) ، والذين عندهم علم الكتاب ، وعلم الغيب ، والإبل العديدة ، في دأب عظيم ... فكأنهم في عالم مستقل . ولما تم لهم ما أرادوا ... أعلنوا ساعة الصفر ... فانطلق محمد يبشر الناس ، بما سمع وقرأ ودرس وحفظ ، ولكن باسم اللة ، وبأمر منه ، فهو ليس إلا رسولا من رب العالمين ، بعثه نبيا ومبشرا ونذيرا وهدى ورحمة للذين يؤمنون .

إله محمد :

"سفينة " اللة هي سفينة النجاة . يومذاك لم يكن للة ، في الجزيرة ، صورة واضحة بارزة . مفهوم اللة وصل إلى هناك غير محدد . المنكبون على الدرس قرروا العبور إلى عقول أهل الجزيرة ... على (سفينة اللة) ... إذ لا حيلة لهم إلاها .

اللة ، إذن ، قضية . مشكلة. "تركة" تثير النزاعات . تفرق بين الرجل وزوجته . والأب وابنه والأخ واخيه . عاصفة تأبى أن ترى الناس في مأمن وطيب عيس وسلام .
أزمة ضمير . هلوسة . جنون . شذوذ . ادعاء . غرابة . مجد . سؤدد . كيان . قهر . تجبر ، موت . فناء. حساب . عقاب . ثواب . اللة الذي له الصفات جميعها . غير محدود . يرى ولا يرى . غني عن العالمين . مالك السموات والأرضين . هو النور والنار . الجنة والجحيم . الحق والباطل . الخير والشر . رب الفقير ورب الغني . رب الضعيف ورب القوي . خلق الإنسان والحيوان والحجر والنبات ليسجدوا له .

"يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(٢١)الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ

السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" [٩٧]

المؤسسة الملكية الإلهية :

اللة هذا موضوع يجب حسمه . ولكن كيف ؟ "الأساتذة " فرضوا الإستسلام والإيمان المطمئن والعبادة المطلقة والطاعة ... العمياء . وإن ذلك ليس بعزيز .

"أساتذة مكة هيأوا لدينهم الجيد حميع أسباب النجاح ، أسسوا شركة إلهية . خديجة ، امراة محمد . الثرية ... تدعم المشروع بما لديها من نفوذ وسلطان . تسهل للزوج ... الأمين ... الحبيب ... الشريك ... الوصول إلى أثرياء مكة ، سكان الحي الراقي . تجار مكة وساداتها سيتسامحون بطلب من خديجة ... ويصرفون النظر عما سيحدث ، تاركين المجال لأبن قريش .

لليهود أنبياء . للمسيحيين نبي وقديسون ، مكة إذن ، يجب أن يكون لها نبي . كان هذا شعار "الشركة الإلهية " الذي رفعته عاليا . لم لا ؟! محمد لن يضر بمصالح الأثرياء . إلى متى ستبقى الجزيرة جدباء إذا ؟ مطلوب من الجزيرة أن تنجب نبيا يرفع العرب إلى صف الأمم والشعوب العظيمة . لن يبقى اليهود والنصارى يفخرون علينا . هكذا سيقول أثرياء مكة وتجارها ... قال "الأساتذة " . وجرى ما توقع مهندسو (الدين الحنيف) . مكة تقاوم محمدا ؟ مكة لم تقاوم محمدا ... العلاقات تتحسن يوما فيوما . رقعة الإسلام تتسع . طغاة مكة لن يقتلوا محمدا . مال خديجة ، وسيادة قريش ، وغيرة الجزيرة من اليهود والنصارى ، فشلت المؤامرة على محمد . كل شيء مدروس و "كل في حسبان " .

ثمرة أربعين سنة من التشاور والتعاون والتفاهم والدرس والتخطيط يجب أن تكون هي الغالبة . فالدين ليس وحده الداعي إلى ظهور الحركة الإسلامية . آمن بذلك سكان مكة والمدينة وصدقته القبائل العربية [٩٨]. فشهدت هذه الحركة إقبالا ملحوظا ،

---

[97] البقرة :٢١، ٢٢

[98] يقول الأستاذ محمود شاكر : "هذا المجتمع (يقصد مجتمع مكة والجزيرة) كان بأشد الحاجة إلى نبي يأخذ بيده نحو الخير ويهديه السبيل ، كما كان العالم كله بحاجة إلى رسول يعيده إلى الحق بعدما لعبت أهواء الجاهلية فيه فعاش بحالة من البؤس وكانت الديانات السماوية قد حرفت

مكـن لهـا الأنتصـار السـريع علـى أعـدائها ، مـن الفـرس واليهـود والبيزنطيين ، الذين كانوا في وضع لا يحسدون عليه .

هذه المرحلـة الهامـة مـن تـاريخ محمـد يـأبى المؤرخـون كشـفها واطلاع الناس عليها ؟!

فجأة نزل اللة في الجزيرة واختـار محمـدا ابـن الأربعـين سـنة مـن بين الناس . ولقنه ما شاء له أن يلقنه . وهو الأمي حسبما زعموا ويزعمون ؟!

وفجأة احتل الإسلام مكانته عند عرب الجزيرة وإذا محمد (الرسول العظـيم) ، و (خـاتم الأنبيـاء) يهـدد الملـوك والبـاطرة ، ويطـالبهم بالـدخول فـي الإسـلام ، وان لـم يسـتجيبوا فهـو لهـم بالمرصاد ، ودخـل المسـلمون فـي الحـرب مـع اليهـود والفـرس والرومـان ، فانهزمت الجيوش المؤلفة أمام قلة من البدو اتخـذوا مـن الإسـلام منعطفا جديـدا فـي حيـاتهم الأقتصـادية ، ومعبـرا لـى أقـاليم ذات طبيعة غنية في خيراتها ، وجمال ومناخات صحية مفيدة .

فالبدوي سئم العزلة والوحدة والعيش الخشـن مذ بدأ يتعـرف إلـى التجـارة والتجـار ، ويـرى الحريـر اليمنـي والنسـيج الأنيـق وطيبـات الشـام (من تين وأعناب وفواكه لم ينبت منها في الجزيرة أي نبـت) في أسواق مكة ، وحركة البيع والشراء والخيول المطهمة والإبل المحملـة والأثريـاء القـادمين مـن هنـا وهنـاك وهنالـك يجوبـون الأسواق ، عليهم المزركشات والطيلسان ، تيها وكبرياء .

وحرك الإسلام ، عنـد ذلـك البـدوي الغـارق فـي طبيعتـه المألوفـة معنوياته فثار على الجـوع ، الـذي طالمـا أكـل مـن أعصـابه وعلـى الكبت ، والظلـم ، والفـوارق الطبقيـة التـي بلغـت حـدا لا يطـاق ، فكان هذا الثائر ، المتمرد ، هو القوي ، فيما انحدر اولئك الذين لـم تحمهم لا امتيازاتهم ولا أموالهم من الخطر الذي بـاغتهم فجعلهـم أذلة بعد أن كانوا هم الحـاكمين والمتنفـذين وذوي العـزة والجلالـة والجبروت .

وبدلت و اصبحت تعاليمها الموضوعه وفق اهواء واضعيها ، وكانت الرسالة الجديدة تقتضـي أن تكون عامة للبشر جميعا ناسخة ما قبلها و هذا ما كان برسالة محمد بن عبد اللة عليه الصلاة و السلام " (التاريخ الإسلامي – الجزء الأول – المكتب الإسلامي ، ص ٩٨)

الإيمان المطلق بالزعيم العربي محمد كان هو ذلك السلاح الذي حطم السيوف والنبال والرماح ، ودك عروشا ، وعفر تيجانا، وأقام دولة جديدة ... دعيت (الدولة الإسلامية)

لماذا دعا مهندسو (الدين الحنيف) إلى الإيمان المطلق والتسليم بما (أنزل على محمد) ؟
من المؤكد أن (أساتذة) مكة ، أصحاب (الشركة الإلهية) كانوا اعرف الناس بعقلية البدوي ، وبما يحب ذاك الإنسان الباحث عن الماء والمرعى ، المستعد دائما وأبدا للقتال القبلي ، لمبارزة ابن قبيلته [٩٩]، وبما يؤثر فيه ويحرك عواطفه ، ويفرحه ويطمئن إليه ، وعلى هذا الأساس كان لا بد لهم من إعلان الزعيم العربي محمد رسولا من اللة ، "فمن أحبه أحب اللة " ، و " من أطاعه أطاع اللة " ، و "من نصره نصر اللة " ، فإذا البدوي يجد في ذلك التدبير (اللائق) و(المعقول) ما يلائم أهواءه ، وأهدافه ، وينسجم مع استعداداته الذهنية والنفسية والروحية والإجتماعية والسياسية والأقتصادية . رأيناه يدخل في الإسلام كما لو كان يدخل منزل شيخ قبيلته ، إذ لا تكلف ، ولا شروط ، ولا واجبات ... ما عدا بعض الطقوس ... التي تعلمها ، فيما بعد ، فارتاح لهذا الدين الجديد السهل [١٠٠] ، الذي لا يتمسك إلا بكلمات ، بقدر ما وجد فيه مشجعا له على الغزو والفتح مما حقق مكاسب وأهدافا طالما سعت إليها (المؤسسة المكية الإلهية) .

دين الصحراء :

والبدوي لم يتخذ من الإسلام دينا ، بل هو اتخذه قوة جديدة ، توازي تطلعاته وآماله وأمانيه . وجزيرة العرب قد بقيت بدون نبي

---

[99] وكتب الأستاذ محمود شاكر يقول : "كان اكثر السكان في البوادي يحيون حياة الرعي والبداوة ، ويتنقلون باستمرار بحثا عن الماء والرعي ، ولا يجدون مجالا للأستقرار والراحة ، وحيث وجدوا ما يسعون اليه ضربوا خيامهم وأخذوا يفتشون عن مكان سواه ، وكثيرا ما يحصل التنازع بين القبائل على احدى البقاع التي تتوفر فيها المراعي او عرفت بوجود المياه فيها ، ولكل قبيلة منازلها المعروفة وبقاعها المحدودة لا تتعداها وتقوم الحروب بين هذه القبائل ، وقد تستمر السنوات ويكون السبب تافها لدرجة ، وتقوم حياة هؤلاء السكان على تربية الماشية وما تنتجه من البان ولحوم واصواف ، واقتصرت بيوتهم على الخيام لسهولة نقلها معهم حيثما رحلوا وسهولة اقتلاعها وضربها حيثما حلوا " (التاريخ الإسلامي ، ج١ ص ٩٣)
[100] كل من شهد ان لا اله الا اللة ، وان محمدا رسول اللة عد مسلما مؤمنا .

أكثر من ٣٤٠٠ عام ، دون رسول منذ أيام شعيب [١٠١] عليه السلام عام ٣٤٠٠ قبل الهجرة وحتى بعثة الرسول (ص) عام ١٣ قبل الهجرة ولهذا كانت بعثة محمد بن عبد اللة عليه أفضل السلام على فترة من الرسل ، وكان الناس قد غيروا كثيرا وبدلوا ، فأشركوا باللة وعبدوا الأصنام وارتكبوا المحرمات وفعلوا المنكرات وظلموا أنفسهم وظلموا الناس ، وما انتشر في البلاد من عقائد نصرانية ويهودية لم تفعل شيئا ، لأن أتباعها قد حرفوا ما جاء به من صفاء " [١٠٢].

لكن البدوي لا يطيق (الصفاء الديني) حيث انه لا يتقبل الفلسفة ولا المنطق ، ولا اللاهوت . فلو أن الإسلام جاءه عبر (اللاهوت أو الصفاء) أو الفلسفة ، لرفضه حتما ، رفضا قاطعا ، وولى بعيدا غير آبه بمن يناديه [١٠٣] واستمر المسلم يرفض المنطق والفلسفة قرونا عدة ، وربما استمر هكذا أبدا دون ان يعني كلامنا هذا ان البدوي هو على خطأ أو ان الفلاسفة والمنطقيين هم على حق.

لنا في (ابن الصلاح الشهرزوري) [١٠٤] دليل قاطع على ما نقول .

سئل الإمام الشهرزوري (ولعله سأل نفسه) : هل الشارع قد أباح الأشتغال بالمنطق تعلما أو تعليما ؟ وهل يجوز أن تستعمل الأصطلاحات المنطقية في إثبات الأحكام الشرعية ؟ وماذا يجب على ولي الأمر فعله بإزاء شخص من أهل الفلسفة معروف بتعليمها والتصنيف فيها ، وهو مدرس في مدرسة من المدارس

---

[101] شعيب : من انبياء اللة العرب في ارض مدين . ورد ذكره في عدة سور من القرآن . تحتفل الطائفة الدرزية مرة كل عام بعيد مولده . له جبل في اليمن ٣١٥٠م من جبال السراة ، يعرف محليا باسم (حضور النبي شعيب) عليه قبره ، تقام فيه اعياد يوم عرفات .

[102] محمود شاكر ، المصدر السابق .

[103] وللأفريقي العادي ايضا موقف من الفلسفة والمنطق واللاهوت يشبه الى حد بعيد موقف البدوي منها . يؤكد ذلك قول ماري كنجزلي (عملت بالتبشير في غرب افريقيا) والذي نصه : (ان الإسلام يهيئ للرجل الأفريقي العادي طريقا للأستقامة والفضيلة بأوضح وأسهل مما تقدمه له المسيحية) . (أحمد ابو زيد : الأسلام المناضل ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الحادي عشر ، العدد الأول ص ٢٦٦) . فالأفريقي العادي مثله مثل البدوي فيما يختص بالشؤون الفكرية والقضايا الفلسفية والعقائدية ، وهو يبتعد عنها لأنها ، في نظره ، معقدة لا تستحق الأهتمام . وهذا هو سبب اقباله على الأسلام وتمسكه به ، والمعروف ان المؤمن العادي يحب عقيدته اكثر مما يعرف عنها .

[104] امام من أكبر ائمة الحديث (عند السنة) توفى سنة ٦٤٣ هجرية.

العامة ؟ فأفتى الإمام ابن الصلاح الشهرزوري بتحريم الفلسفة والمنطق . قال:

"الفلسفة أس السفه والأنحلال ، ومادة الحيرة والضلال ، ومثار الزيغ والزندقة . ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المطهرة ، المؤيدة بالحجج الظهرة والبراهين الباهرة ، ومن تلبس بها تعليما وتعلما قارنه الخذلان والحرمان ، واستحوذ عليه الشيطان . وأي فن أخزى من فن يعمي صاحبه ويظلم قلبه عن نبوة نبينا محمد (صلعم) كلما ذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكره غافل مع انتشار آياته المستبينة ومعجزاته المستنيرة ، حتى لقد انتدب بعض العماء لأستقصائها فجمع منها ألف معجزة ، وعددناه مقصرا ، إذ هي فوق ذلك بأضعاف لا تحصى ...
وأما المنطق فهو مدخل الفلسفة ومدخل الشر شر ، وليس الأشتغال به مما أباحه الشارع ، ولا استباحه أحد من الصحابة التابعين والأئمة المجتهدين ، والسلف الصالح ... فالواجب على السلطان أن يدفع عن المسلمين شر هؤلاء المباشيم ويخرجهم عن المدارس ، ويبعدهم ويعاقب على الأشتغال بفنهم ، ويعرض من ظهر عنه اعتقاد عقائد الفلسفة على السيف أو الإسلام "[١٠٥]

والبدوي خصم طبيعي للفلسفة والمنطق ، مثلما هو حليف طبيعي للعاطفة والشعر ، والحرب ، والقنص، والفخر، والمديح والصداقة ، والثأر ، وما إلى هنالك عادات وتقاليد تبرز الصفات التي يرتاح إليها ويسعد بها ، وتحتفظ بكل ما هو نقيض للذي يشغل الفكر ، ويجهد العقل ويروضه .

وتلك أمور حاكاها الإسلام بلغة معلومة لدى البدوي ، هي (لغة عرب الشمال التجاري والسياسي والثقافي والأدبي والديني) ، فلا عجب إن هو (البدوي) استقبل الإسلام ، بسهولة وبساطة ، ولا عجب أيضا إن عد الإسلام ، حزب قريش – عرب الشمال ، ودين الصحراء ، دين العرب (القويم) ، والقرآن دعي (كتاب اللة المبين) . فاللغة العربية الشمالية أرقى اللغات المجاورة ثقافة وأدبا ، وأغزر مفردات ، وأدق قواعد ، فضلا عن (نفوذ الناطقين

[105] موقف أهل السنة القدماء بازاء علوم الأوائل : بحث كتبه اجنتس جولدتسير ترجمه الدكتور عبد الرحمن بدوي ونشره في كتابه (التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية) (ط٤) ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دار القلم بيروت . ض ١٦٠-١٦١. ذكره الأستاذ الحداد في (مدخل إلى االحوار الإسلامي المسيحي) ، المطبعة البوليسية ١٩٩٦ ص٩.

بها) و(الظروف التي كانت ملائمة للتغلب اللغوي وعونا للغة الشمال على لغة الجنوب) .

إسلام أب بكر والتجار النابهين :

لو كنا سنبحث في إسلام أبي بكر بن أبي قحافة صديق محمد ووالد زوجته عائشة وخليفته الأول مثلا ، لما عثرنا على ما يشير إلى محاولة إقناع من محمد لأبي بكر – التاجر – بالإسلام ، العقيدة والدين . فأبو بكر استجاب على الفور ، مثلما يقول محمد نفسه (ما دعوت أحدا إلى افسلام إلا كانت فيه عنده كبوة [١٠٦] ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر ابن أبي قحافة ما عكم عنه حين ذكر له وما تردد فيه) [١٠٧]

ومعنى ذلك أن ابا بكر كان على علم مسبق بالدعوة إذ هو من أولئك الذين هندسوا هذا الدين ، ورتبوه في أحسن ترتيب .

وتروي السيرة أن ابا بكر ، الذي كان رجلا مألفا لقومه محببا ، سهلا ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلا تاجرا ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويالفونه لغير واحد من الأمر : لعلمه وتجارته وحسن مجالسته والذي كان " من اغنياء قريش ويسكن حيا من أرقى أحياء مكة حيث تعيش خديجة بنت خويلد والتجار النابهون الذين تذهب تجارتهم في رحلتي الشتاء والصيف إلى الشام وإلى اليمن " [١٠٨] قد دعا هو أيضا إلى الإسلام من يثق به من قومه فأسلم بدعائه : عثمان بن عفان ، والزبير بن عوام لن خويلد وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن ابي وقاص ، وطلحة بن عبيد اللة ، ودعوا السابقون الذين لهم عند ربهم مكانة يحسدون عليها حتى من الملائكة .

كم يثير التساؤل هذا التقرير ؟

---

106 تخلف وتردد .

107 سيرة ابن هاشم ، دار الريحاني ص ١١١

108 محمود الشلبي : حياة أبي بكر ، دار الجيل ، الطبعة الأولى (١٩٧٩) ص ١٢ .

عثمان وصحبه من أثرى أثرياء مكة [109] يدخلون الإسلام دين طبقة الأذلة بالسهولة عينها ، المتناهية ، الواضحة ، الصحيحة ، التي استقبله بها البدوي الفقير الذليل ؟!
أليس هذا برهانا آخر على أن الإسلام من هندسة ووضع أساتذة مكة سكان الحي الراقي؟
عثمان لم يخف على ماله وتجارته من الدين الجديد ؟
أتراه كان يعلم أنه سيكون الخليفة الثالث بعد أبي بكر وعمر ؟
(النبي) يقول : "الناس معادن . خيارهم في الجاهلية ، خيارهم في الإسلام . إذا فقهوا " [110] . فمن كان ممتازا في جاهليته فهو ممتاز في إسلامه ، ومن كان ضعيفا في جاهليته فهو ضعيف في إسلامه ، ومن كان يسكن حي النابهين قبل الإسلام فهو أقرب إلى اللة ورسوله ، ومسكنه في حي اللة والرسول والملائكة .

إسلام عمر بن الخطاب :

لا نريد الإطالة . سنكتفي بقصة إسلام عمر بن الخطاب . لما فيها من أضواء كاشفة ومعلومات قيمة وحقائق دامغة ، إن دلت على شيء ، فإنما تدل على أن الغلبة كانت للسياسة وليس للدين ، إليكم قصة إسلام عمر ، كما وردت في سير ابن هاشم .
"حدثني عبد الرحمن بن الحرث عن عبد العزيز بن عبد اللة ، عن أمه ام عبد اللة بنت أبي حشمة قالت : واللة إنا لنترحل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا ، إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علي ، وهو على شركه ، وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا وشدة علينا ، فقال : إنه الأنطلاق يا أم عبد اللة ، فقلت : نعم واللة لنخرجن في أرض اللة ، ورأيت له رة لم أكن

---

[109] بلغت ثروة الزبير بن العوام خمسين الف دينار ، والف فرس والف عبد وضياعا وخططا في البصرة والكوفة ومصر والأسكندرية . وكانت غلة ظلحة بن عبيد اللة من العراق كل يوم الف دينار وقيل اكثر ، وبناحية الشراة اكثر مما ذكرنا . وكان على مربط عبد الرحمن بن عوف مائة فرس وله الف بعير وعشرة آلاف شاة ، وبلغ ربع ثمن ماله بعد وفاته اربعة وثمانين الفا . وحين مات زيد بن ثابت (صحابي من الخزرج - أمره محمد ان يتعلم السريانية حتى أتقنها ليقرا له ما يرده من كتب بها وبالعبرية) خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤس غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة الف دينار . ومات يعلي بن منية وخلف خمسمائة الف دينار وعقارات وغير ذلك ما قيمته ثلثمائة الف دينار . اما عثمان نفسه فكان له يوم قتل عند خازنه مائة وخمسون الف دينار وخلف خيلا كثيرا وإبلا . (المسعودي : مروج ذهب ٢\٢٤١-٣٤٣. خرجه محمد مهدي شمس الدين : دائرة المعارف الشيعية (حسن الأمين) المجلد الأول الجزء الثاني ص ٣٢)

[110] محمود شلبي : المصدر السابق

أراهـا ، ثـم انصـرف وقـد احزنـه – فيمـا أرى خروجنـا ، فجـاء عـامر بحاجته تلك ، فقلت له : يا أبا عبد اللـة لـو رأيـت عمـر آنفـا ورقتـه وحزنه علينا ، قال : أطمعت في إسلامه ؟ قلت ، نعم ، فقـال فـلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمـار الخطـاب ، قالـت : يأسـا لمـا كان يرى من غلظته وقسوته عن الإسلام .

"وكان إسلام عمر – فيما بلغني – أن أختـه فاطمـة بنـت الخطـاب وكانت قد أسلمت وأسلم بعلها سعيد بـن زيـد وهمـا مسـتخفيان بإسلامهما من عمر ، وكان نعيم بن عبد اللـة النحـام – رجـل مـن قومه من بني عدي بن كعـب – قـد أسـلم وكـان أيضـا يسـتخفي بإسلامه فرقا [١١١] من قومه ، وكان خباب بن الأرت [١١٢] يختلف إلـى فاطمـة بنـت الخطـاب يقرئهـا القـرآن ، فخـرج عمـر يومـا متوحشـا بسيفه يريد رسول اللة ورهطا من أصحابه قـد اجتمعـوا فـي بيـت عند الصفا . وهم قريب مـن أربعـين مـن بـين رجـال ونسـاء ، ومـع رسول اللة عمه حمزة بن عبد المطلـب وأبـو بكـر بـن أبـي قحافـة الصديق وعلي بن أبي طالـب فـي رجـال مـن المسـلمين ، ممـن كان أقام مع رسـول اللـة بمكـة ولـم يخـرج فـيمن خـرج إلـى أرض الحبشـة ، فلقيه نعيم بن عبد اللة فقـال لـه : أيـن تريـد يـا عمـر ؟ فقال : أريد محمدا هذا الصابئ [١١٣] الذي فـرق أمـر قـريش وسـفه أحلامها وعاب دينها وسـب آلهتها فأقتلـه ، فقـال لـه نعـيم : واللـة لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر ، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشـي على الأرض وقد قتلت محمدا ، أفلا ترجع إلى أهـل بيتـك فتقيم أمرهم !! قال : وأي أهل بيتي ، قال : ختنك [١١٤] وابن عمك

---

111 أي فزعا او خوفا

112 نشأ فقيرا يائسا . اعتنق الإسلام ولما حضرته الوفاة اعترف بأنه يخفي صندوقا فيه أربعون ألف درهم ، وقال انه اعترف بذلك لأنه يخشى أن يخصم اللة هذا المبلغ من حصته في الجنة .

113 ننقل عن "لسان العرب" ج١، صبأ : الصابئون : قوم يزعمون انهم على دين نوح عليه السلام بكذهم . وفي الصحاح : جنس من اهل الكتاب وقبلتهم من مهب الشمال عند منتصف النهار ، التهذيب ، الليث : الصابئون قوم يشبه دينهم دين النصارى الا ان قبلتهم نحو مهب الجنوب ، يزعمون انهم على دين نوح ، وهم كاذبون . وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي صلعم : قد صبأ عنوا أنه خرج من دين إلى دين .

ابو اسحق الزجاج في قوله تعالى والصابئين : معناه الخارجين من دين إلى دين . يقال صبا فلان يصبأ إذا خرج من دينه .

وفي حديث بني جذيمة : كانوا يقولون لما أسلموا صبأنا ، صبأنا وكانت العرب تسمي النب صلعم الصابئ لأنه خرج من دين قريش (؟) إلى الإسلام ، ويسمون من يدخل في دين الإسلام مصبوا ، لأنهم لا يهمزون فأبدلوا من الهمزة واوا ، ويسمون المسلمين الصباة ، بغير همزة ، كأنه جمع الصابي ، غير مهموز كقاض وقضاة ، وغاز وغزاة (لسان العرب ج١، ص ١٠٧-١٠٨)

114 ختن = صهر = زوج الأخت أو زوج الإبنة .

سعيد ابن زيد واختك فاطمة ، فقد واللة أسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما ، قال : فرجع عمر عامدا إلى أخته وختنه ، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها (طه) يقرئها إياها ، فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم أو في بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الهنيمة [115] التي سمعت ؟ قالا له : ما سمعت شيئا ، قال : بلى واللة لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه ، وبطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه اخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا وآمنا باللة ورسوله ، فاصنع ما بدا لك ، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون آنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد . وكان عمر كاتبا ، فلما قال ذلك قالت له أخته : انا نخشاك عليها . قال : لا تخافي ، وحلف لها بإلهته ليردنها إذ قراها إليها ، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت له : يا أخي ، انك نجس على شركك ، وإنه لا يمسها إلا الطاهر فقام عمر فأغتسل ، فأعطته الصحيفة وفيها (طه) فقرأ ، فلما قرأ منها صدرا قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه" فلما سمع ذلك خباب خرج إليه ، فقال له : يا عمر واللة إني لأرجو ان يكون اللة قد خصك بدعوة نبيه فإني سمعته أمس وهو يقول : "اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم ابن هشام أو بعمر بن الخطاب " فاللة اللة يا عمر ، فقال له عند ذلك عمر : فدلني يا خباب على محمد حتى ىتيه فأسلم . فقال له خباب : هو في بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفخ فتوشحه ثم عمد إلى رسول اللة وأصحابه ، فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول اللة وهو فزع فقال : يا رسول اللة هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف ، فقال حمزة بن عبد المطلب : فاذن له ، فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه ، فقال رسول اللة صلعم "إئذن له " فأذن له الرجل ، ونهض إليه الرسول حتى لقيه بالحجرة فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه ، ثم جبذه جبذة شديدة وقال " ما جاء بك يا ابن الخطاب فواللة ما أرى أن تنتهي حتى ينزل بك قارعة " فقا لعمر : يا رسول اللة جئتك لأومن باللة

---

[115] الهنيمة = الصوت الذي لا يسمع والكلام الذي لا يفهم .

وبرسوله وبما جاء من عند اللة ، قال : فكبر رسول اللة تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول اللة أن عمر قد أسلم ، فتفرق اصحاب رسول اللة من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعرفوا أنهما سيمنعان رسول اللة وينتصفون بهما من عدوهم " [116]

سياسة أم دين ؟

أرأيتم كيف أسلم عمر ؟

عمر كان يريد قتل الصابئ محمد !

محمد خرج من دين قريش (الصابئون) وأنشأ مذهبا جديدا وحزبا جديدا . هكذا قال عمر . هكذا قالت العرب .

القرآن كتاب منزل ... يقول المسلمون .

لماذا القرآن منزل وكيف ؟؟

هل كافأ اللة محمدا لأنه خرج من دين قريش ، فأنزل عليه القرآن هدية من الرحمن الرحيم ، ليثبته نبيا ، ويختم به سلسلة الأنبياء ؟

عمر لم يقتل محمد ؟!

لقد قرأ عمر صدرا من (طه) :
"طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى تَنزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى"

إنه لأمر طريف حقا . عمر الذي كان سيقتل (الصابئ) محمدا ، أسلم بعدما قرأ بعض الآيات من (طه) ؟ الـك مشيئة اللة ، يقول

---

[116] سرة ابن هشام ، (المختصرة) ص ١٥٧،١٥٨،١٥٩

المؤرخون ... والمحدثون ... والمحافظون على إسلامهم حتى يوم الدين .

من المفروض أن يكون محمد قد على بتهديدات عمر له . ولذلك جمع صحبه وأوحى إلى ختن (صهر) عمر أن يقول أبن عمه : سمعت ، أمس الرسول يقول "اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هاشم أو بعمر بن الخطاب "
أسياسة أم دين ؟
ولكي يؤيد اللة الإسلام بعمر بن الخطاب [١١٧] ينبغي لمحمد وأبي بكر وعثمان وسائر أثرياء المسلمين ، سكان الحي الراقي أن يدفعوا إلى عمر ثمن هذا التأييد . (المال قوى) . عمر يريد مكاسب وامتيازات . محمد لا يرغب الموت . لماذا يستشهد محمد ؟ ماذا فهم عمر ، في ذلك اليوم ، من الإسلام ؟
عمر لم يفهم ، آنذاك ، من القرآن شيئا ، سوى المركز الذي سيتبوأه ، والمكاسب التي سيحققها ، إذا هو دخل الإسلام .

ودخل عمر الإسلام ، فكان له شأن كبير . عمر ثبت أبا بكر خليفة بعد وفاة محمد . وعمر هذا ثبت عمر خليفة بعد أبي بكر [١١٨]

لقد أيد الإسلام بعمر ، وأيد عمر بالإسلام .

ولكن هل كافا محمد وعمر خبابا على ما كان منه ؟
إذا شاء ربك جعل السياسة دينا والدين سياسة .

النبي المنتقم :
(وقفة على ضريح ابن جحش)

[117] يقول الأستاذ محمود شلبي : يا ويل من يكتب عن عمر ! .... يا ويله !! ما يكاد يدخل اليه ... حتى يجد نفسه يسبح في بحار من نور (؟) لا يدري اولها من آخرها _حياة عمر ، دار الجيل . ط٢ ص ٥)

[118] ويقول محمود شلبي ايضا ... وهل كان عمر الا بشرا ؟ نعم .. كان بشرا .. ولكن اللة اتاه ما لم يؤت احد من الناس ... وذلك فضل اللة يؤتيه من يشاء (المصدر نفسه ص ٦) الا يثير التساؤل هذا القول؟ "وبسط ابو بكر يده فبايعه عمر وهو يقول : ألم يأمر النبي أن تصلي انت يا ابا بكر بالمسلمين ؟ فأنت خليفة رسول اللة فنحن نبايعك لنبايع خير من أحب رسول اللة منا جميعا " (خرجه محمود شلبي ص ٥٧)

عبيـد اللـة بـن جحـش ٠ابـن عمـة محمـد) صـبأ ، وهـاجر إلـى الحبشـة إما ليبشـر بالدين الجديد ، وإما هربا من مضطهديه .
في الحبشـة عاوده الحنين إلى نصرانيته . ارتد عن دينه الحديث ، الإسـلام .
زوجتـه أم حبيبـة بقيـت علـى اسـلامها . محمـد أرسـل الـى النجاشـي يخطبها له ! كأني بمحمـد (النبـي) يريـد كسـر عنفـوان عبيد اللة ؟

أقبلية أم دين ؟

أين هي الحرية؟

لماذا لا نقول : إن عبيـد اللـة رأى نفسـه علـى خطـأ ، فعـاد إلـى دينه الأول؟
المؤرخون ينزلون بعبيد اللة هذا اللعنات ، طمسوا سيرته .
المؤرخون اكتفوا بما قالوا عنه :
"دخل الإسـلام وهاجر إلـى الحبشـة ومعـه امرأتـه أم حبيبـة بنـت أبي سـفيان مسـلمة . فلما قدمها تنصر حتى هلك هناك نصرانيا " [١١٩]

ماذا فعلت عبيد اللة ؟

ألم تحسـب أن محمدا قد ينتقم منك فيتزوج امرأتـك لكـي يطعنـك في كرامتك وشرفك ؟

ألم تعلم أن ليس للحرية مكان في قاموس لغتنا ؟

عبيد اللة ، لو تقرأ تاريخنـا ، منـذ صـبأ محمـد وإلـى اليـوم لعلمـت كيف "أبيضت" وجوه ، و"أسـودت " أخر.

عبيد اللة ، لست وحدك المظلوم .

أنا مثلك اليوم . لكن الفرق بينك وبيني أنك عدت إلـى دينـك الأول بعدما صبأت . أما أنا فقـد ولـدت مـن أبـوين مسـلمين ، فـي بيئـة

---
[119] ابن هشام : ص ٩٦

إسلامية ، ولما كبرت ، وتفتح ذهني ، وقرأت ، واطلعت ، رأيت أن لا حاجة لي بهذا الدين ، الذي أوله سياسة ، واي سياسة ن وحياته سياسة ، وهدفه سياسة . وربما بقيت بلا دين ، حتى يأتي اليوم الموعود [120]

عبيد الله ،

أعلمت بما جرى لأبن خالك علي بن أبي طالب ؟

قتلوه في المسجد . علبوه إماما . لا يريدونه فيلسوفا ولا حكيما . لماذا يصرون على بقائه في تلك (العلبة) الإمامة ؟

عبيد الله ،

محمد وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وغيرهم انكروا أحد ساداتهم وابن عمهم ورقة بن نوفل ... وكنيسته ... وأحرقوا ككتبه وأناجيله . واشتروا نفسهم مؤرخين ... ومحدثين .. ليكتبوا ما يوافق سياساتهم ، وميولهم ، ومصالحهم ، وأرباحهم ، وتجارتهم ، وإلههم ، (الذي يرزق من عنده من يشاء ويذل من يشاء) الذي أنزل على رسوله الآيات لتكون له حصنا منيعا تأويه من (الخائنين) و(المرتدين) و(الكافرين) و(الصابئين) والمطلعين والباحثين والفلاسفة وأصحاب المنطق .

"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمْ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ

---

[120] قال عمر : لما كان يوم بدر ، التقوا ، فهزم اللة المشركين ، فقتل منهم سبعون رجلا ، واسر سبعون رجلا ، فلما كان يومئذ شاور رسول اللة ابا بكر وعليا وعمر فقال ابو بكر : يا نبي اللة ، هؤلاء بنو العم والعشيرة والأخوان ، فاني ارى ان تأخذ منهم فدية ، فيكون ما أخذنا منهم قوة ، وعسى اللة ان يهديهم فيكونوا لنا عضدا فقال رسول اللة : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قلت : لا واللة . ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكنني من فلان (؟) فاضرب عنقه (ربما قصد ابا سفيان) وتمكن حمزة من أخ له (أي العباس) فيضرب عنقه ، وتمكن عليا من اخيه عقيل فيضرب عنقه ، حتى يعلم ان ليس في قلوبنا هوادة للكفار . هؤلاء صناديدهم وقادتهم وائمتهم ! " (خرجه محمود شلبي ص ٢٥)

تَشْكُرُونَ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" [١٢١]

لا خوف على محمد إذن . ليعلم من يمكر به أن اللة يرعاه ويصونه . (اللة خير الماكرين) . وقد رأينا كيف أن عمر بن الخطاب كاد يمكر بمحمد ، ثم تصدى له اللة ، في منزل ختنه ، فأوقع في قلبه الإيمان ... وشده من اذنه إلى البيت الذي كان فيه محمد وصحبه ، حيث أسلم ... وأعتذر .. حتى صار ركنا عظيما من أركان الإسلام.

ويذكرنا قرآن محمد ووعد اللة له ، بملحمة هوميروس (Homer) (الأوديسيه) (Odyssey) والآلهة أثينا بالاس The Goddess Athena التي تشد من أزر الملك اوديسيوس Odysseus كما تؤكد مساندتها له التي يعود فيها أوديسيوس إلى عرشه في إيتاكه Ithaca منتصرا على أفراد الطبقة الأرستقراطية الذين كانوا يهددون هذا العرش ، إذ أنها مسألة لا تخص أوديسيوس وحده فحسب وإنما تخصها هي كذلك ، وهكذا تقول الآلهة أثينا Athena :

"من المؤكد أني سأقف إلى جانبك وأني لن أنساك حين يأتي الوقت الذي تقضى فيه مهمتنا هذه ، أما عن اولئك (الأرستقراطيين) الذين يطاردون زوجتك ويبعثرون ثروتك فإني أراهم الآن (مقدما) وقد صبغت دماؤهم ورؤوسهم المهشمة أرض قصرك "

كل الحقوق تسلب ما عدا "الحق الإلهي" . وكل الكرامات تهان وتداس ما عدا كرامات الأنبياء (المسلحين) وأصدقاء الآلهة من الملوك والقادة . محمد يقرأ الأوديسية فتأخذ النشوة .

---

[121] الأنفال : ٢٤ ـ٣٠

وبتفسير الجلالين للآية ٣٠ : واذكر يا محمد (إذ يمكر بك الذين كفروا) وقد اجتمعوا للمشاورة في شلانك بدار الندوة (ليثبتوك) يوثقوك ويحبسوك (او يقتلوك) كلهم قتلة رجل واحد (او يخرجوك) من مكة (ويمكرون) بك (ويمكر اللة) بتدبير امرك بأن أوحى اليك ما دبروه وامرك بالخروج (واللة خير الماكرين) اعلمهم به . ص ٢٣٨+

أوديسيوس يقرأ القرآن ويرتله ترتيلا يونانيا . إلـه محمـد ، كمـا إلـه موسـى يغازل الآلهة أثينا بينما أعداء محمد وموسـى وأوديسـيوس في النار خالدون .

هؤلاء طواهم التاريخ

وجـوه نقيـة ، ناصـعة ، بريئـة ، طواهـا التـأريخ بـوحي مـن اللـة ، سبحانه وتعالى ، واستجابة لرغبة الرسول العربي ، وأركان حزبـه ، الـذين حكمـوا فـي الـبلاد وهيمنـوا علـى التـاريخ حسـبما كـانوا يشـتهون .

"اجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم ، كـانوا يعظمونه وينحرون له ، وكان ذلك عيدا لهـم فـي كـل سـنة يومـا ، فخلص منهم أربعة نفر نجيا [١٢٢] ثـم قـال بعضـهم لـبعض : تصـادقوا وليكتم بعضكم على بعض ، قالوا : أجل ، وهم : ورقة بن نوفل بن أسـد وعبيد اللة بن جحش بن رئاب ، وكانت أمه أميمـة بنـت عبـد المطلب ، وعثمان بـن الحـويرث ، وزيـد بـن عمـرو بـن نفيـل فقـال بعضـهم لـبعض : تعلمـوا واللـة مـا مـا قـومكم علـى شـيء ، لقـد أخطئوا دين أبيهم ابراهيم ، وما حجـر نطيـف بـه لا يسـمع و يبصـر ولا يضر ولا ينفع !! يا قوم التمسوا لأنفسكم فانكم واللـة مـا أنـتم على شـيء فتفرقوا في البلدان يتلمسـون الحنيفـة ديـن ابـراهيم [١٢٣]"

ولما أتينا على ذكر عبيد اللة بن جحش وما حدث له في الحبشة ، نصرف النظر عنه ، هنا منعا للتكـرار ، يبقـى ورقـة ، وعثمـان بـن الحويرث ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وسنرى ما قالتـه السـيرة عـن هؤلاء :

ورقة بن نوفل :

---

[122] النجي : الجماعة يتحدثون سرا عن غيرهم وهو لفظ يستوي فيه الواحد والأثنان والجماعة .

[123] ابن هشام : ص ٩٦

"فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب " [١٢٤]

عثمان بن الحويرث :

" وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده" [١٢٥] و "كان يقال له البطريق لا عقب له ، مات بالشام مسموما " [١٢٦]

زيد بن عمرو بن نفيل :

" وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان ، ونهى عن قتل الموؤودة ، وقال : أعبد رب ابراهيم ، وبادى قومه بعيب ما هم عليه .
وحدثت أن ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمر ابن الخطاب – وهو ابن عمه – قالا لرسول اللة : أنستغفر لزيد بن عمرو ؟ قال : "نعم ، فإنه يبعث أمة وحده "
وحدثت عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نفيل أن زيدا كان إذا استقبل الكعبة داخل المسجد قال : لبيك حقا حقا تعبدا ورقا ، عذت بما عاذ به ابراهيم .
ثم خرج يطلب دين ابراهيم ويسأل الرهبان والأحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ، ثم أقبل فجال الشام كلها ، حتى انتهى إلى راهب بميفعة [١٢٧] من أرض البلقاء. كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية ، فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية دين ابراهيم فقال : انك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظل زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها ، يبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق بها فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه . وقد كان شام اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئا منهما ، فخرج سريعا حين قال

---

[124] المصدر السابق ، ص ٩٦ ، وأقصى ما قيل عنه "كان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب في الإنجيل بالعبرانية ما شاء اللة أن يكتب" (البخاري بشرح الكرماني ١\٣٨-٣٩) وجاء في صحيح البخاري ايضا " ولم ينشب ورقة ان توفى وفقد الوحي "

[125] ابن هشم ص ٩٧.

[126] في اشارة حاشية من ابن هشام ص ٢٠٦ (السيرة الموسعة)

[127] مرتفع عن الأرض

ذلم الراهب ما قال ، يريد مكة حتى إذا توسط بلاد لخم [١٢٨] عدوا عليه فقتلوه " [١٢٩]

قبلية أم دين ؟

السياسة ، كما دائما غلبت وتغلب الدين والأخلاق ... والحق ... والإنسان ، فكيف إذا كانت قبلية ؟
ورقة بن نوفل ، الذي كان يترجم عن العبرانية ، وعنده تاريخ الأقدمين ، ألقى عليه أبو بكر ، وعمر وعثمان وعلي ستار الجاهلية الكثيف ، وتم مصرع العلم فوق رمال الصحراء ، لتبقى الأوهام والسخافات في بروجها العالية ، ويحتفظ (الكاز) برائحته ، وطاقته وسيادته وعزته ، ليصون الكعبة ، والإسلام ، من (قرامطة) قد يأتون ...مثلما صانوها من القرامطة السابقين . الأستاذ الملفان ورقة بن نوفل طردوه من التاريخ . أخذ مكانه أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف .

لو بقي للعرب ، إلى جانب نهج البلاغة تراث ورقة ... وما حمله سلمان الفارسي ، في رحلته من أصفهان إلى يثرب ، وما تركه بحيرا في صومعته ، لما مزقت الملل والنحل والفرق والمذاهب ، وهي تبحث عن الجذور التي تاهت في الصحراء .

حدث عمر بن الخطاب سامعيه قائلا :
"واللة إني لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش قد ذبح له رجل من العرب عجلا ، فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت قد أنفذ منه ، وذلك قبيل الإسلام بشهر أو شيعه (دونه) ، يقول يا ذريح ، أمر نجيح ، رجل يصيح (أو فصيح) يقول : لا إله إلا اللة " [١٣٠]

جوف عجل ذبيح يطلق صوتا لا أنفذ حقيقة لا تحتاج إلى برهان ، عمر قال : عمر حدث (كلام الملوك ملوك الكلام) . ورقة بن نوفل الأستاذ ، الأسقف الملم بغير لغة ، المثقف ، المفكر ، المؤرخ ، أماتوه هو وعلمه ليكرسوا محمدا نبيا ، علمه من عند اللة ، وأدبه

---

[128] بنو لخم ، أو المناذرة : من قبائل العرب
[129] ابن هشام :٩٨.
[130] ابن هشام :٨٥.

أدب اللـة ، وكتابـه كتـاب اللـة ، لـيس فيـه أثـر لبشـري ... هـي الحكاية من أولها إلى آخرها . فصدقوا إذ صدق اللة العظيم القائـل "وإن كنتم في ريب مما نزلنا علـى عبـدنا فـأتوا بسـورة مـن مثلـه وادعوا شهداءكم من دون اللة إن كنتم صادقين"[١٣١]

هل يريد البدوي سوى ذلك ؟

اللة في جوف العجل الـذبيح . لـو قالهـا غيـر عمـر لصـلب وقطـع . اسألوا بغداد عـن الحـلاج ، الـذي ضـرب ألـف سـوط وقطعـت يـداه ورجلاه وصلب وهو لا يزال حيا . ولما سقطت رأسـه ، صـب علـى جذعه الزيت وأحرق بالنار ، وألقي برماده من المئذنة في الدجلـة ، وكان ذلك في الثالث والعشـرين مـن ذي القعـدة سـنة ٣٠٩ ه \ السـادس والعشـرين مـن مـارس (آذار) سـنة ٩٢٢ م والنـاس يتفرجون .

ادعى مسيلمة البنوة فكذبوه !

مسيلمة لم يأت بسورة (مـن مثلـه) طبعـا . مسـيلمة لـم يـدرس علـى ورقـة بـن نوفـل ولـم يتحنـث وإنمـا أراد أن يؤكـد علـى أن الإنسان هو الذي يبعث نفسه نبيا . فلو صدقه مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن ، سكان أرقى أحيـاء مكـة ، لعرفـت الجزيـرة نبيين . الجزيرة كانت تبحث عن نبي واحد: جاء محمد فتعلقت بـه ونصـرته ، جـاء مسـيلمة (رحمـان اليمامـة) فخذلتـه قائلـة لـه : الضربة لمن سبق يا مسيلمة وإنك لن تستطيع مضاهاة نبي مكة وقـد أصـابت دعوتـه مـن النجـاح مـا أصـابت . مسـيلمة المبشـر والمتصوف والزاهد لم يعقد محمد معه صلحا لأنه أخطر عليـه مـن أبو سفيان وهوذة .

أسياسـة أم دين ؟

أقبلية أم دين ؟

أيها المؤرخون ...

---

131 البقرة :٢٣

إليكم النبأ العظيم :

ورقة بن نوفل يبعث من جوف الأرض ... لا من جوف العجل الذبيح.

فإلى ورقة ، أيها المؤرخـون والبـاحثون والقابضـون علـى ديـنكم ... على سياستكم .

إلى ورقة بن نوفل ، لنرى كيف انقرضت مكة وزالت .

القسم الثاني

نصرانية مكة لماذا انقرضت ؟

" ...وهكـــذا أصـــبحت ديانـــة التوحيـــد الإبراهيمية (الحنيفيـة) هـي أولـى الـديانات الموحـدة التـي أعـادت روح التوحيـد القـديم بصيغة جديدة . فقـد دعـت إلـى عبـادة اللـة الواحد الأحد وكانت الجزيرة والعراق والشـام ومصـر مسـرحا كبيـرا لدعوتـه ... وقـد تبعتـه أقوام كثيرة ولكن الشـيء الـذي لـم يسـاعد على قيامها ديانة ضخمة تمحو كل الـديانات المشـــركة هـو عـدم تـوفر الدولـة الواحـدة الكبيـرة التـي مـن الممكـن أن تقـوم فيهـا عقيدة دينية موحـدة كبيـرة .. وحـاول النبـي ابراهيم أن يقيم نواة هذه الدولة في جنـوب العـراق المســمى بـالقطر البحـري ولكـن الملحدين أطاحوا به " [١٣٢]

خزعل ماجدي

[132] رسالة العرب الى العالم عبر التاريخ ، مجلة آفاق عربية ت٢ ١٩٧٩ ص ٣٦.

تمهيد :

بين دهاليز كتب السير والأخبار ، على الطرقات المتشعبة الملتوية ، المعوجة بأوحال التزوير والتشويه ، وأشواك المغرضين ... والأنتهازيين ، المجبولة بدماء الذين سقطوا بالمقلاع ، والقوس والقنبلة ، والراجمة ، والصاروخ . فوق الصفحات العربية والأجنبية ، الشرقية والغربية ، المتراكمة كالجبال ، انطلق ابو موسى الحريري [١٣٣] يحمل قلما واعيا ، ومعولا وقنابل وسراجا زيته الإخلاص ، والصدق ، والمعرفة ، على (جرافة إلكترونية) تدك الأسوار والقلاع ، وتفتك بالحصون القديمة ، وتزلزل الجبال الشامخة ، كما تهبط إلى الوهاد والأعماق لترفع الأنقاض وما تحت الأنقاض من آثار مهترئة مضى عليها ألف وأربعمائة سنة مع الأجساد البالية ، والنواويس الفانية حيث كادت أن تصبح ترابا أو شبه تراب .

فبالعدة العصرية الكاملة ، القادرة الجبارة ، تخطى أبو موسى الحريري العثرات والخنادق والعوائق وكل ما حول من سبقه إلى مثل هذا العمل الجليل عن الطريق المستقيم ، وأقعده عن البحث الدؤوب ، فإذا هي خلفه تنتحب وتستصرخ الذين جعلوها شاهدا على أمجادهم وحضارتهم إذ كانت لها الشاهد والشهيد .

وبقلب قوي غيور على الحق تابع كاتبنا رحلته هذه ، حتى عاد إلينا بكتاب مبين سماه "قس ونبي" يظهر "ما اخفاه التاريخ عن حقيقة الإسلام وعلاقته بالنصرانية ".

على أن الرحلة التي قام بها أبو موسى الحريري ليست كرحلات الصيف أو الشتاء التي حققتها قريش بين مكة والشام ، أو بين مكة واليمن . ولا هي من الرحلات التي ترتجل ارتجالا ، وقد يكون المؤلف واجه صعوبات أوشكت أن تثنيه عن هدفه ، لولا أنه واثف بنفسه ، مطمئن إلى ثقافته الواسعة ، ومعرفته المنمكة بالتوراة والأناجيل والقرآن ، وخبرته الحسنة بكتب السير والأحاديث ، والمراجع المختصة والصالحة وكل ما له علاقة ، من أبحاث ودراسات ، باليهودية والمسيحية والنصرانية والإسلام ، فضلا عن الغاية السامية ، المستهدفة خدمة الإنسان والحقيقة الشريفة ،

---

[133] ابو موسى الحريري : اسم مستعار لكاتب لبناني معاصر ، لم يشأ أن يكشف اسمه ؟!

الرامي إليها ، هذا الكاتب ، دونما تجريح ، أو تشويه ، أو تضليل أو أفتراء .

من أجل حوار إسلامي – مسيحي :

لماذا "قس ونبي" ؟

الجواب على هذا السؤال عند المؤلف كما يلي : "المقصود هو البحث عن هوية القس ورقة بن نوفل وعن صلته بالنبي محمد بن عبد اللة ، والنتيجة هي إظهار ما أخفاه التاريخ عن حقيقة الإسلام وعلاقته بالنصرانية ، ولن تمر بالبال قط أية محاول للتقارب بينهما ، تلك المحاولة المستمرة التي ضلت الحقيقة وعطلت العقول . إنها محاولة فاشلة وضالة ومضلة ، ومع كونها تدعو إلى الوئام والألفة والسلام ، وهي فاشلة لأنها لم يتوفر لها النجاح يوما ، وهي ضالة لأنها تبني على أسس غير صحيحة ، وهي مضلة لأن المقصود منها كل شيء سوى حقيقة الدين "

فالحوار الإسلامي المسيحي على قدمه لم يتقدم ولا خطوة واحدة نحو ما يعزز ويعمق التفاهم والتعاون بين المسيحي والمسلم ويخلصهما من رواسب رسختها فيهما عصور وأزمنة قاتمة رديئة ظالمة لكثرة ما شهدت من حروب طائفية ودينية كانت في كل مرة تقضي على ما بناه المخلصون من الفريقين [١٣٤]

إذا كانت المصالح الأقتصادية قادرة على تذليل أسباب النزاع الطائفي ، الإسلامي – المسيحي ، مثلما نحاول أن نعد أنفسنا أحيانا ، أفلا يحق لنا أن نتساءل عن تلك النكسات المتتالية التي منينا بها جيلا تلو جيل ؟

إن لدى (أبو موسى الحريري) ما يضيء الدرب أمام الجيل الحاضر والجيل الآتي ويرد على هذه التساؤلات عسى أن تجد الأستحسان والقبول :

---

[134] ان المسلمين والمسيحين هم أهل الكتاب ! فلا يصح حوار في ما بينهم الا على اساس كتابيهم الإنجيل والقرآن وكل حوار بينهم يعتمد غير الإنجيل والقرآن انما هو "حوار الطرشان . وهذا ، مع الأسف الشديد ، ما جرى حتى اليوم بين المسلمين والمسيحين – فكان الحوار التاريخي في ما بينهم جدالا وخصاما . (الأستاذ الحداد : مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي ، ص ٥)

"وسبب الفشل والضلال جهل مطبق بالنصرانية والإسلام فلا هذه النصرانية التي ياخذ بها مسيحيو اليوم هي تلك التي كانت في أيام القس والنبي ، ولا هذا الإسلام هو ذاك الذي دعا إليه كل من القس والنبي . وسبب الجهل يعود إلى أن فرقا شاسعا بين نصرانية القس ومسيحية اليوم ، وبين إسلام النبي وإسلام اليوم . هذا الفرق أضل الكثير من مؤرخي الأديان فمؤرخو الإسلام حققوا فيما نقلت كتب السير والأخبار دون أن يحققوا في مقصود أهل السير والأخبار ، وحققوا فيما هو عليه القرآن اليوم دون أن يحققوا فيما كان عليه بالأمس ، ومؤرخو النصرانية تتبعوا النصرانية في كل مكان ما عدا المكان الذي احتجزت فيه في مكة الحجاز ، هذه النصرانية أهملوها وأهملوا تطوراتها وأحزابها ظنا بموتها وانقراضها " (ص٥)

الإسلام يغتال النصرانية واليهودية :

ألا يكون اليأس الذي رافق الحركات الفكرية في البلاد هو الذي جعل مؤرخي النصرانية يعتقدون بموت نصرانية مكة وانقراضها ؟
لقد فتح المسلمون مكة والمدينة وكانت غايتهم ألا يبقى ، فى الحجاز كلها أثر للنصرانية التي كانت تمثل للشرقيين ديانة الحاكم الأجنبي أو غيرها وليس هذا هو كل ما رموا إليه فهنالك المعالم والآثار النصرانية واليهودية المنتشرة في المدن وعلى التخوم والتلال التي إن ظلت قائمة ظل الخطر يحدق بالإسلام ويهدده ، واستحال قيام الدولة الإسلامية . لقد أزيلت هذه المعالم والآثار كانها لم تكن .

"عندما وصل رسول اللة الى المدينة كان فيها مجموعات من السكان متباينة في عقيدتها مختلفة في أهدافها متفرقة في اجتماعاتها ، كما كانت لديهم خلافات بعضها قديم موروث وبعضها حديث موجود "[١٣٥]

"وكان على رسول اللة ان يحل هذه المشكلات جميعها بأن يزيل آثار الماضي ويوحد قلوب المسلمين ويوجد حلا للمعضلة المالية ويؤلف بين سكان المدينة من مسلمي الأوس والخزرج والمهاجرين ، ويجعلهم كتلة واحدة تقف في وجه اليهود فيما إذا

---

[135] محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ج٢ ص ٥٩

أرادوا الغدر وهو دينهم في الحياة وأن يعاهدهم ما دام لم يظهر منهم شيء"[١٣٦]

واستمر محمد وأتباعه في مكة والمدينة يلاحقون كل من لم يدخل الإسلام طائعا راضيا إما ليقتلوه وإما ليقصوه عن أرضه وبيته ، حتى تكون للدولة الإسلامية ما يسمح لها بالتوسع والأنتشار .

"وأعلن رسول اللة في دولته ان المسلمين أمة واحدة من دون الناس فالأمة جماعة من الناس تعيش بعقيدة واحدة ، بغض النظر عن انتماء ابنائها لمجموعات من الأجناس أو الشعوب أو العروق ، وبغض النظر عن اللغة التي يتكلمها أفرادها واختلافها ، وبغض النظر عن كل شيء سوى العقيدة "[١٣٧]

الأخوة الواهية :

منذ ذلك الحين ساد الأعتقاد بأن المسلم هو أخ المسلم بالعقيدة الواحدة (؟) أيا كان هذا المسلم ، وحيثما وجد وقد غطت تلك الأخوة الدينية (العقائدية) مساحات من الأرض بعيد مداها عليها شعوب مختلفة لغاتها ومتعددة ثقافتها واهدافها ومشاعرها من فارس الى سوريا الى المغرب (شمال افريقيا) الى تركيا الى مصر الى موريتانيا الى الهند الى باكستان الى افغانستان والى الصين والفيليبين . لكن هذه الخوة ليست كما نتوهم ولا كما يدعون ففي كتب التاريخ والمراجع والمستندات والوثائق التي تم الكشف عنها ، ما يؤكد على أهمية السياسة والأقتصاد والقوى العسكرية المحاربة ، وما يتبعها من توسع وضرورة فرض السلطة والسيادة ، من أجل نشر العقيدة ، أساس الأخوة المزعومة ، والوحدة المفترضة والأمة التي لا تتكامل إذا لم تكن قائمة على وحدة اللغة والجغرافيا ، والتاريخ والثقافة والأهداف والمشاعر والآلام والآمال ووحدة المصير وحيث لا تتغلب السياسة والقوة ومعها الأقتصاد لا مكان للعقيدة مهما تكن ولا أمل ببقائها . إنما الذي يؤسف له حقا هو أن نبقى ماخوذين بل مسحورين بذلك الشعار الذي طرحه محمد بن عبد اللة في القرن السابع "الأمة جماعة من الناس تعيش بعقيدة واحدة " ، على أرض ذات طبيعة واحدة ، لقبائل عربية ندرت الفوارق بينها وكأنه

---

136 المصدر نفسه ص ١٦٠-١٦١

137 محمود شاكر المصدر السابق ص ٢١٧.

(الشعار) قد طرح ليسود في كل مكان ، وإلى الأبد بينما التجارب المؤلمة التي مرت بها شعوب هذه الأرض وغير هذه الأرض لا تسمح بل هي ترفض رفضا باتا أن نظل هكذا مأخوذين مسحورين بطلاوة الكلام وحلاوته وبالشعارات التي لا تتعدى الألفاظ الجوفاء والمزايدة وحب الأستغلال والأستثمار .
العقيدة الواحدة اصبحت عقائد أثارت الحروب والفتن ، فلا الأمبراطورية الإسلامية هي امبراطورية مثلما يحسب بعض المؤرخين ، ولا الدول التي انبثقت عنها بعد تفسخها واندحارها عادت عن خطاها لتنظر ، فعلا بوحدة إسلامية تصلح ما أفسدته التجارب والأحداث ، والمصالح الأقتصادية والغايات السياسية العتيدة .

إذا كنا نتكلم عن عصرنا الحاضر ويجب الكلام عنه ولو بأختصار فهل لنا غلا أن نسأل : أين هي وحدة العقيدة اليوم؟ لماذا لم تمنع العقيدة الواحدة الحرب العراقية – الأيرانية؟ لما ذا تركتم افغانستان لقمة سائغة للروس ، لماذا قضية فلسطين لم تجدوا لها حلا حتى اليوم ؟ ماذا فعلتم وتفعلون لمسلمي الأتحاد السوفياتي والصين ؟ لماذا المعارك التي تنطفئ حينا وتشتعل احيانا بين دول المغرب العربي المسلمة ومسلمي افريقيا ؟ ما الذي أجل اطلاق النار بين سوريا والأردن في المرة الأخيرة ، أهي العقيدة الواحدة ؟ ام التعهدات السعودية التي قدمت لسوريا والنصائح الدولية ، منها على الأخص الأمريكية والسوفيتيه ؟ وكما اليوم كما في الماضي . إفلاس استحكم بالعقل عندنا فاسترخينا حتى تكرشت بطوننا وتعطلت اذهاننا وشلت احاسيسنا وترى العالم في تطور مستمر وحركة دائمة يتنقل من حضارة إلى أخرى ، وإذا أصابنا منها طرف وضعنا أصابعنا في آذاننا ورحنا نصرخ ونولول : يا لغيرة الدين ، الغرب يزحف علينا ليسفه عقيدتنا ، ليخذل نبينا وحضارتنا وحقنا وسيادتنا وشوفنا وكرامتنا.

هلا عرفتم لماذا ؟

(لنقرأ) :

"إن الإسلام يتسامح في أن يتلقى المسلم من غير المسلم أو عن غير التقي من المسلمين ، في علم الكيمياء البحتة ، أو الطبيعة ، أو الفلك ، أو الطب ، أو الصناعة ، أو الزراعة أو الأعمال

الإداريـة والكتابيـة وامثالهـا .... ولكنـه لا يتسـامح فـي ان يتلقـى أصول عقيدته ، ولا مقومات تصوره ولا تفسير قرآنه وحديثه وسيرة نبيه ، ولا منهج تاريخه وتفسير نشـاطه ، ولا مـذهب مجتمعـه ولا نظام حكمه ، ولا منهج سياسته ولا موحيات فنه وأدبه وتعبيره ... من مصادر غير اسلامية . ولا أن يتلقى عن غير مسـلم يثـق فـي دينه وتقواه في شيء من هذا كله " [١٣٨]

هل بعد من إفلاس أفظع وأبشع مما حل بنا ؟

" ومع ذلك فليس الذي سبق هذه الفترة رأيا لـي أبديه ... إن الأمر أكبر من أن يفتي فيه بالرأي . أنه أثقل فـي ميـزان اللـة مـن أن يعتمد المسلم فيه على رأيه . وإنما هو قول اللة ... وقول نبيه ... نحكمه في هذا الشأن ... يقول اللة عن الهدف النهائي لليهود والنصارى في شـأن المسـلمين بصـفة عامـة . ود كثيـر مـن اهـل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عنـد أنفسـهم . بعد ما تبين لهم الحق ..."[١٣٩]

إن صـاحب هـذا القـول . والـذين علـى شـاكلته لفـي اسـتلاب لا شفاء منه . غربة كئيبة ومريبـة يعيشـها معظـم كتابنـا ومفكرينـا . لقـد أسـن أكثـر رجالنـا ... فسـقطوا فـي (مسـتنقع العقيـدة) فأصابتهم ريح منتنة .

" ويقول رسول اللة ... "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ... فإنهم لـن يهـدوكم وقـد ضـلوا ... وانـه واللـة لـو كـان موسـى حيـا بـين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعنـي " ... ومـن ثـم يكـون مـن الغفلـة المزرية الأعتماد على مناهج الفكر العربـي . وعلـى نتاجـه كـذلك في الدراسات الإسلامية . ومن ثم يجب الحيطة كـذلك فـي أثنـاء دراسة العلوم البحتة – التي لابد لنا في موقفنا الحاضر من تلقيها من مصادرها الغربيـة – مـن أيـة ظـلال فلسـفية نتعلـق بهـا ، لأن هذه الظلال معادية في أساسها للتصور الـديني جملـة . وللتصـور الإسلامي بصفة خاصـة . وأي قـدر منهـا يكفـي لتسـميم الينبـوع الإسلامي الصافي" [١٤٠]

---

[138] سيد قطب : معالم في الطريق ، ص ١٧٥
[139] المصدر السابق
[140] المصدر السابق

شهادة أخرى من رجل سقط أيضا في (مستنقع العقيدة) ونسي أن هنالك شمسا وقمرا ونجوما وكواكب ... وشعوبا تتزاحم على نور الشمس والهواء والطبيعة وما تحتوي هذه الطبيعية . هو الدكتور مصطفى محمود القائل :
" ... والإسلام يقدم للعصر المادي باب النجاة الوحيد والحل الوحيد والمخرج الوحيد ... فهو يقدم إليه كل تراثه الروحي دون أن يكلفه أن ينزل عن شيء من مكتسباته العلمية أو تفوقه المادي ، وكل ما يريده الإسلام هو أن يحقق الأقتران الناجح بين المادة والروح لتقوم مدنية جديدة هي مدنية القوة والرحمة ، حيث لا تكون القوة المادية مسخا معبودا وإنما تكون أداة ووسيلة في يد القلب الرحيم ... وبذلك تقوم دولة الإنسان الكامل "[١٤١]
ماذا يقول سيد قطب السلفي المغرق في السلفية ومصطفى محمود التوفيقي وجميع الذين سقطوا في بؤرة العقيدة ، لو نقلنا إليهم رأيا للفيلسوف هربرت ماركيوز القائل: "سوف أصبح مصابا بجنون العظمة ، لو انني اعتبرت أن من واجبي أن أكتب وصفات . إن الناس يصنعون تاريخهم الخاص وهذا التاريخ زاخر بالحوادث والمصادفات ، بما لا يمكن التنبؤ به "[١٤٢]

لكل شعب حق في أن يصنع تاريخه . وإذ نفرض على الناس باسم الإسلام منهجا أو نمط عيش أو نظاما فإنما نكون قد أسقطنا الناس في "بؤرة العقيدة" . وأما القول بأن الفلسفة التي في ظلالها تتفيا العلوم البحتة هي فلسفة معادية للتصور الإسلامي ، على الأخص ، وإنما هو الكبت عينه والظلم عينه والجهالة التي ما بعدها جهالة ، والأفتراء على الإنسان والحقيقة .

ما أحوجنا إلى فلسفة تنسف هذا المستنقع الملعون ونخرج أولئك الذين سقطوا فيه إلى الشمس ، النور – الحياة – كي تطهرهم من العفونة التي فيها يسبحون .

الغلبة للقوي :

---

141 د. مصطفى محمود : رحلتي من الشك إلى الإيمان ، ص ١١٤

142 محمود أمين العالم ، عن د. قيس هادي أحمد ، المصدر المذكور ص ١٦٧.

نعتذر عن هذا الأسترسال الذي اقتضاه الحديث عن الحوار الإسلامي – المسيحي .

نعود إلى "قس ونبي" لننظر كيف تمت الرحلة المباركة ذات الأمل والرجاء .
يقول "أبو موسى الحريري" :
"ولئلا يكون كلامنا عاما على النصرانية والإسلام فإننا سنحدده في فترة من الزمن معينة ، وهي الفترة التي انقرضت فيها النصرانية في مكة ونشأ الإسلام على انقراضها "

فالبحث إذن لن يشمل كل شيء ، سيقف "عند القس والنبي ومقصدهما العظيم" وربما نكرنا مقصدهما العظيم هذا "ولكننا لا نستطيع التنكر للحقيقة التاريخية " التي مهما طال عليها الزمن لابد أن تنهض .

"وإن ما نسعى إليه من تقارب ونفشل ، قد سعى إليه كل من القس والنبي ونجح . وتم النجاح في الإسلام بعدما ذابت النصرانية فيه "

والمؤلف يعرف جيدا الوضع العقائدي الراهن والسائد في بلاد المسلمين ، فلا عجب إن هو كرر القول "ولا تظنن للمرة الثانية أن نصرانية الأمس هي مسيحية اليوم . فتلك اسلمت وهذه لم يعرفها الإسلام قط . ونصرانية مكة ليست هي مسيحية انطاكيا وروما والإسكندرية . ومقصد القس والنبي كان تلك لا هذه وتلك كهذه كانت مبعثرة في شيع وأحزاب . وأراد القس والنبي جمع شتاتها في دين واحد جديد "

بين أنطاكيا والإسكندرية حرب ملأت المجلدات والخزائن . كذلك بين روما وكل من أنطاكية والأسكندرية . والذي أشعل هذه الحرب آنذاك "اجتهاد" ، في تحديد طبيعة المسيح ، تفاقم واحتدم فيما نصرانية مكة في هجرة بعيدة ... انتهت إلى دين جديد لم يدرك رؤساء الكنائس ، في أنطاكية والإسكندرية وروما ، أنه سيأتي نتيجة حتمية لأنصرافهم عن شؤون نصرانية مكة المهاجرة .

"ولكل من القس والنبي في الدين الجديد دور: الأول أوحى وعلم ودرب وأرسى الدعائم ، والثاني سمع وتعلم ودرس وشيد البنيان ، وفضل الأول على الثاني كفضل المربي على ربيبه . القس أستاذ علم فتى ذكي الفؤاد عرف اختياره ونجح ، والنبي تلميذ نجيب حفظ ما تعلم وأبدع ، الأول نقل كلمة اللة العجمية إلى "لسان عربي مبين" والثاني بلغ "كلمة عربية" و "تلاها" على المؤمنين . كلاهما عمل لأجل اللة ، ولأجل ان يكون للأميين رسول وكتاب ، فكان للعرب إله يعبدون ، ورسول يتبعون ، وكتاب فيه يقرأون " (قس ونبي)

تلك هي الخطوط العريضة التي وضعها (أبو موسى الحريري) لرحلته فلا اعتراه خوف ولا أدهشه ما رأى وشاهد . لقد حصل ما حصل . الغلبة للقوي . الفوز لمن يملك أسباب النجاح . الحظ السعيد ابن القوي الشجاع . الحظ التاعس ابن الذلول الخمول . وهو في كلتا الحالتين نتيجة لا سبب .

" بيد أن النبي استطاع أن يتفوق على القس ويستقل عنه ، شأنه كشان أي تلميذ بارع يتخطى بذكائه قدرات معلمه . وشأن القس كشأن أي مرب حكيم ليترك لربيبه حرية التصرف . لقد كان النبي لفرط ذكائه ينشد الحرية ويلتمس الأستقلال وكان القس لوفرة حكمته يختفي أمام عنفوان تلميذه بلباقة ، ويتوارى عن مسرح التاريخ الذي واراه وراء ستار حاجب . لقد أدى القس خدمته وذهب وبقي النبي يجاهد ويناضل حتى حفظ له التاريخ أجمل ما حفظ . إلا أن النبي كما عرف أن يتدرب على القس بأمانة عرف أيضا كيف يتصرف بما تعلم بحكمة فجاءت رسالته مناسبة لظروف البيئة والمجتمع "

القس العربي :

أكثر من ثلاثة عقود من السنين ظل محمد ينهل العلم من مصادر شتى وفرها له القس ورقة . نتوقف هنا ، بعض الوقت ، لنلقي الضوء على هوية هذا القس (الأسقف) ونسبه ومكانته .

جاء في كتاب "أبو موسى الحريري" ما يلي :

"هو القس ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، ابن عم خديجة بنت خويلد [143] بن أسد عبد العزى ابن قصي، زوجة النبي محمد بن عبد اللة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي . فيكون قصي الجد الثالث لورقة وخديجة ، والجد الرابع لمحمد . والثلاثة يلتقون في قصي نسبا وجاها وإيمانا ودينا ومقاما . والثلاثة من قريش سدنة الكعبة ، ومن سكان مكة ، وأصحاب دار الندوة " [144]

فالقس ورقة ، قرشي إذن ... وسيد من سادات مكة . وليس يهوديا من اليمن ، أو المدينة ، ولا مسيحيا من سوريا ولا حبشيا ، ولا قبطيا من مصر ، ولا يونانيا ولا فارسيا .

عروبته صافية ، أنيقة ، عريقة ، لا يشوبها شائب .

حبه لمكة والمكيين واضح ، جلي لا لبس فيه ولا غموض .

فما بالنا نقف منه موقف العداء والأزورار ؟

لماذا نهمله ؟

ألأنه عالم ، ومتعلم ، وحكيم ؟

أم لأنه زهد بهذه الدنيا وتوارى خلف تلميذه محمد ؟
لقد برز إليه أثرياء مكة فدحروه ... لأنه لم يتزوج من نسائهم . ولأنه انصرف إلى علومه و"مدرسته" ودينه .
هذا ((القس)) شغله ما آلت إليه المسيحية والنصرانية ، عن الدنيا ومتاعها الغرور . وإذا مكة قد سحبت من تحته ((السجادة)) .

"ولئن كان كلنا يعرف النبي ورسالته ومسيرته ، فإن أكثرنا يجهل القس وهويته ودوره في بنيان الدين الجديد وسبب جهلنا لابد مصيبة عمياء أرادها التاريخ كما أراد سواها في هذه البقعة من

---

[143] تزوجها محمد وكان له من العمر خمس وعشرون سنة ، وكانت هي في العقد الخامس .. حسبما مر معنا في القسم الأول . أليس القس ورقة هو الذي ((هندس)) ذلك الزواج وأوجبه ؟ أن هذا ما سنراه.

[144] ص ١٣ . أكدت هذا وتؤكد كتب السير والتاريخ الإسلامي كافة .

الأرض . والمصيبة الكبرى تقع لا محالة على من يريد نبش مطامير هذا التاريخ المنكود ، لأن المتعصبين للحقائق المنزلة يصعب عليهم البحث في حقيقة التاريخ ، ولن يدركوا أن باستطاعة اللة استعمال البشر واسطة لأعلان كلمته . ومع هذا ، فإننا غير مجبرين على تصديق الحقائق حتى ولو كانت منزلة من لدن اللة ، لأن لنا حرية البحث عن كل شيء مكنون ، فهي أيضا منزلة من لدن اللة "[145]

كبوة "أبو موسى الحريري" :

لماذا أوقع المؤلف نفسه هكذا في بحر اللة ؟

المؤلف مؤمن . ولئن كان إيمانه غير إيمان "المتعصبين للحقائق المنزلة".
ليست "المصيبة الكبرى " بوجود من يصعب "عليهم البحث في حقيقة التاريخ " فحسب ، بل هي في أولئك الذين جاؤوا باللة وآمنوا به ثم جلسوا على قميصه يقترعون .
جرأة المؤلف طوت عنقها في هذا المكان ، إذ قال:
" كلنا يؤمن بقدرة اللة القدير ، ولا أحد ينكر تصرف اللة بملكه كما يشاء . ولكن أيضا لا أحد ينكر حرية الإنسان في البحث عما يشاء . ولا أحد يسلم بأن اللة حفظا لكرامته يسلب الإنسان كرامته فاللة يترك التاريخ يسير ، ويترك الإنسان يتدبر في التاريخ أمره . لهذا إذا كانت الحقيقة وحيا من اللة فليس كالإنسان واسطة يعلنها في التاريخ باسم اللة . وبالتالي لابد أن يكون الوحي اللاحق تذكرة للوحي السابق "

هي كبوة من المؤلف إذن . الرحلة بعيدة . الرحلة متعبة . الرحلة محاطة بالأخطار والشبهات . فلا تظنن أننا لا نريد للمؤلف ان يتخذ لنفسه قسطا من الراحة لابد منه .

ورد المؤلف مكملا ، ولكن كمن يقاوم الإرهاق والوهن فقال :

" ... كما شهد الكتاب على نفسه : "هذا ذكر" (ص أية ٤٩) ، و"هذه تذكرة" (المدثر ٥٥) ، وكما شهد على نبيه : ذكر إنما أنت

---

[145] ص ٧

مذكر (الغاشية ٢٢) ويوم يرتاب النبي من صحة ما يذكر به يقال له : "إن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك " (يونس ٩٤) . هذه القراءة ال "من قبل" تنبئ ، لا محالة ، عن واحد كان "قبل" النبي يقرأ عليه الكتاب ويهمس أذنه وحي اللة من وراء الستار"[146]
وبسبب اللة أخفق المطران (القس) حيث أصاب محمد ...
الأسقف ورقة المنعزل في مكة بل المنسي فكر في إصلاح ما أفسده الباحثون عن الحقيقة في سوريا وأنطاكية ومصر وروما . محمد فكر في تحصيل زعامة لنفسه على قبيلته ، ومنها على العرب فكان له ما أراد [147] ونجح حيث فشل أستاذه الأسقف ... العالم باللغتين : العربية والعبرية !! وأساء القس ، عندما خاطب العقل المتوثب ، في بلاد الحضارات سوريا ومصر وروما ، من بيئة متخلفة ، وهولا يملك ولا حدا أدنى من السلطة أوالنفوذ ، فثارت عليه قبيلته وأسلمته للرمال المتحركة ، قبل أن يصل صوته إلى خارج الصحراء .

هفوات القس :

ووفق محمد إذ قاد "عشيرته الأقربين " ليزيد تجارتها ويحسن وضعها ، ويفتح أمامها آفاقا أرحب وأربح . ولما اشتد ساعده واطمأن إلى جماعته راح يزرع رايته خفاقة حيث كانت الرايات ترمى بالأقاويل والسهام والنبال . وأضاع السقف الهدف أيضا ، إذ دفع محمدا إلى الزواج [148] من ابنة عمه خديجة التارجرة الثرية مما أتاح لمحمد – الذي كان يعده القس ليكون رسوله إلى رؤساء الكنائس ، في سوريا ومصر وروما ، المنشغلين في عقد المجامع

---

[146] المصدر نفسه

[147] الم يقل ابن خلدون ويعيد القول أن الملك حاجة طبيعية للإنسان وانه بدون عصبية قوية لا يفوز أحد حتى وان كان نبيا بالملك ؟! (انظر السياسة والدين عند ابن خلدون ، جورج لابيكا ، تعريب د. موسى وهبى دار الفارابي ص ١٢٣.

[148] يذكر المؤلف انه عندما تم الأتفاق بين خديجة ومحمد "وبلغت الساعة الحاسمة أرسلت خديجة إلى اعمامها فحضروا . وأرسل محمد إلى اعمامه فحضروا هم أيضا . واجتمع الناس وخطب ولي أمره أبو طالب : (وابن اخي له في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك) وخطب القس ورقة ولي أمر خديجة وقال : " الحمد للة الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله . لا ينكر العرب فضلكم فاشهدوا علي يا معشر قريش اني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد ابن عبد اللة " ص٣٧ "وكللها" ، وابرم العقد وشهد عليه واعلن على الحضور ما جرى " ص ٣٨.

وتنظيم الأحكام ضد المنشقين – العيش الهادئ والإمكانيات الطائلة وحب السياسة والتطلع إلى الرئاسة والزعامة .

وإذ نحن بصدد تعداد هفوات القس وأخطائه البريئة كما يبدو التي سببت لنصرانية مكة هذا الأنقراض ن وغير ذلك مما فات المؤلف ، لا نتحرج إذا قلنا أن الأسقف ورقة لم يدرس لا الأزمات العاطفية ولا العقد النفسية ولا الكبت ولا كل ما كان يشكو منه محمد ، ذلك اليتيم ، المحروم عاطفة الأبوين وعضد الأخ ، وحنان الأخت ، والذي رضع من غير امرأة ، المسكون قلبا وعقلا بحب الشهرة والتفوق ، الناقم على مجتمعه ، الحزينة نفسه حتى الموت ، الحاقد على أصحاب المكاسب والإمتيازات ، ولا هو أعار تلك الحياة الغنية بالتناقضات والصراعات الداخلية أدنى اهتمام . ولعله رأى في زواج محمد من خديجة خدمة للنصرانية وتنفيذا لما كان يخطط ، إلا أن النتيجة جاءت عكس ما كان يرجو ويتوقع ، فسقطت نظريته ، حيث انطلق محمد يعمل سيفه في رقاب "الكافرين" .

الغير الإسلامية والذات النصرانية:

نصرانية مكة المغمورة كانت تحتاج إلى ثورة ، ثورة في النفس . إلى رهبانية . على انقلاب على الذات (Self – renunciation) إلى تسام (Sublimation) ، مع الكبت (Repression)[١٤٩] إلى تبشير (Evangelism)، وحيث أن مناخ الجزيرة لا يساعد على الكبت ولا هو يدعو إلى التسامي ، ولا يتسامح مع قهر الغريزة وقمعها ، لقي حب محمد للزواج وشغفه بالنساء ، عند أهل الجزيرة ما لم ينم عن الرفض أو الأشمئزاز ، وكما تزوج محمد من نساء شتى ، فعل مثله رفقاؤه الذين انطلقوا بالإسلام ثورة استهدفت الغير ولم تستهدف الذات [١٥٠]. حتى أن عليا بن أبي طالب صاحب البصمات الكثيرة على القرآن والبلاغة ، والفصاحة ، واليوتوبيا ، تزوج هو ايضا من نساء شتى وأنجب خمسة وعشرين

---

[149] يرى فرويد ان المجتمع يحتاج الى الكبت لكي يبني حضارته وهذا رأي لا نملك الا أن نوافق عليه ، فما من أحد يستطيع أن يجادل في الفكرة القائلة ان عملية تكوين أي مجتمع حضاري تعني ضمنا تنازل الأفراد عن قدر من حاجتهم ورغباتهم المباشرة وتفرض تضحية الشهوات في سبيل مبدأ أعم منهم . (أنظر الإنسان المعاصر عند ماركيوز ، المصدر نفسه ، ص ١٨٣.

[150] هل ان التحرر الجنسي عند الرجل وسيلة لتدعيم سلطة النظام القائم ؟

ولدا أو أكثر ما بين ذكر وأنثى[151] ، فانقسم بيته على ذاته و "كل بيت ينقسم على ذاته يسقط " كما قال المسيح .

وكان مقدرا على بيت محمد أن ينقسم على نفسه أيضا . مثلما بيت علي. لو أن النبي ولد النجباء .

لست أدري ما الذي كان ينتظر الإسلام والقرآن لو خلف محمد وراءه عشرات الذكور والإناث أمهاتهم خديجة وسودة وعائشة وحفصة والزينبان (بنت خزيمة وبنت جحش) ومارية وجويرية وصفية وام حبيبة وأم سلمة !

بيت الوحي والنبوة هل يخرب ، كما خرب بيت الإمامة ؟

اللة يقول لا.

النبي لم يسمح اللة له بالأستنجاب إلا من خديجة ومارية ولكن اللة تدارك برحمته الواسعة الني ونساء النبي والقرآن ، والإسلام ، فخطف أولاد النبي جميعهم ما عدا فاطمة التي اشاءها هدية لعلي بن أبي طالب مكافأة له على إخلاصه لمحمد وتفانيه من أجله وفي سبيل نشر دين اللة القويم وانتصاره على الكافرين ، كما تزعم المصادر الشيعية.
وبما أن اللة لا يضيع أجر المحسنين كرس نساء النبي ، المحرم عليهن الحمل والحبل "أمهات للمؤمنين" وعصمهن ، وغلب فيهن الذات على الغير ، وعلمهن كيف يضطهدن أجسادهن ، وكيف يكون التفوق والتسامي وكبح الشهوة الجنسية (Eroticism).
فالنبي كما قالت عائشة وأم سلمة "كان يصبح جنبا من جماع غير احتلام ، ثم يصوم في رمضان " [152]، وكان يقبل بعض زوجاته وهو صائم ويباشر وهو صائم ، دون أن يفسد صومه لأنه (النبي) كان أملك لأربه (عضوه).

---

[151] ما شاء اللة ! لقد سمعت لما كنت طفلا ، من كان يثني على علي بن أبي طالب فيقول : كان فحل الرجال وزير النساء . كان لا يطيق ان ينام ليلة واحدة بدون مضاجعة النساء . ولو من وراء الحائط . كانوا يقولون عنه هكذا لأعتبار هذه القوة من عند اللة ، كريمة مثل منزلة علي ، الرجل يرتوي جنسيا ، المرأة تكبت.

[152] حديث متفق عليه ، انظر "مع الرسول في رمضان" تأليف محمد سالم ، دار الثقافة ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ص ٢٩.

(النبي) كان يقذف (يتنجس) وهو نائم . (النبي) كان يتحكم في عضوه ، ما ذا يعني هذا القول ؟

الأول معناه أن (النبي) كان ، في نومه ، يرى نفسه شابا مراهقا وفي حضنه صبية من عهد الشباب ، فيباغته قذف مبكر (Praecox ejaculation)، لا يفسد الصوم وهذه حالة ترافق الزواج القسري أو الزواج الصفقة كزواج محمد من خديجة وهي الهرب من الواقع إلى الخيال أو الأحلام .

الثاني معناه أن (النبي) كان يباشر نساءه في اليقظة ، ولكن بدون قذف مما يجعل صومه قائما أيضا .

فكما يظهر من حديث عائشة وأم سلمة ، كان (النبي) يعاني توقف المني (Spermatemphraxis) أو انحلال وإتلاف الحييات المنوية (Spermatolysis). فهل أن (خديجة) و(ماريا) قد حبلهما (النبي) فعلا، أم أن (جبريل) وهو الذي نفذ المهمة الإلهية بدقة وإتقان؟

الذات المحمدية محت ، بأمر من اللة ، الغير المحمدية . الجنس مع الذات غيره مع الغير . الوحي كان ينزل على محمد ليشغله عن القذف (ejaculation) أو (Spermatism) فكأن لا جنس مع الوحي ، ولا متعة (Pleasure) مع النبوة .

كيف ذلك ؟
لنتلمس الجواب على هذه المسألة .
يقول جان روستان (Jean Rostand) في كتابه ((الإنسان)) (الترجمة العربية بقلم د. محمد عبد الرحمن مرحبا) (ص٥٥) ما يلي :
"إن الأسباب التي تؤثر من النتيجة النهائية (للحمل) دقيقة جدا حتى ليكاد يكون من غير الممكن تصورها فترسترام شاندي بطل كتاب استرن المشهور يشكو أن أمه عندما كانت على وشك أن تحمل به عكرت صفو الأرواح الحيوانية بسؤالها أباه فجأة : "هل عساك نسيت تدوير الساعة ؟ ." والحقيقة أنه يكفي أقل من ذلك كثيرا للتأثير في تكوين الطفل . (فحسب أحد الزوجين أن تبدو منه في أبان العملية الجنسية) حركة ما أو التفاتة ما أو زفرة ما حتى يخترق البويضة حييوين منوي (Spermatozoon)

(Spermaatozoide) آخر عير ذلك الذي كان يهم باختراقها) . فإذا إنسان آخر سيرى النور بعد تسعة أشهر (غير ذلك الذي تخلف عن الركب فخسر إلى الأبد معركة الحياة ، فالحياة إنما هي انتهاز للفرص ، وويل لمن لا يتحين الفرص !) "

على أن المسألة المحمدية هي ، لا شك ، أخطر من مسألة شاندي . فشاندي ، الأب ، كان يمارس الجنس حتى المتعة والقذف بينما محمد كان أملك لأربه فلا يقذف ، مهما بذل جهدا ، ولا يحقق المتعة أو النشوة ، حسبما أفادت عائشة وأم سلمة.

أما أن تكون والدة شاندي قد "عكرت صفو الأرواح الحيوانية" الهاجمة من صلب زوجها باتجاه رحمها ، فأمر يختلف كثيرا عما كان يحصل لعائشة وأم سلمة وسائر نساء النبي ، فهن لم يعرفن المتعة مع محمد ، حيث أن "الأرواح الحيوانية" في صلب النبي قد أتاها من اللة مبيد للمني (Spermatocidal) فأتلفها وخربها .

ما أوقح (جبريل) ! كان لا يحلو له أن يحمل الوحي إلى محمد ، إلا كلما فكر محمد في مباشرة النساء . اللة و(جبريل) يأمران محمدا أن يملك أربه ... كي يظل في القلق الجنسي ، المناخ الملائم للوحي والتنزيل والإبداع ، والعبقرية ، والذات المحمدية.

محمد والقلق الجنسي :
(الحجاب ورجم الزانية)

إن المجتمع الذي أسسه محمد أو حاول تأسيسه هو غذن مجتمع (الأرتواء الجنسي) ، من طرف الرجل فقط ، والأنفتاح ... حتى بالطريق المجوجة (وانكحوا ما طاب لكم من النساء) . إلا أن سرعان ما خاب ظنه وتراجع . ولما أحس النبي بانحلال الحييات المنوية (Spermatemphraxis) ، وهو الذي بيته مشرع مثلما بيوت الزعماء والمؤسسين ، في كل زمان ومكان خاف على نسائه ، ومنهن عائشة الصبية الحسناء ، مارية القبطية الشاربة من ماء النيل ، وجويرية وصفية اليهوديتان ، والشابة بنت عمر ، وبنت أبي سفيان ، والحسناء زينب مطلقة ابنه زيد ، من الإستسلام للغريزة والوقوع في أحضان الرجال ممن كانوا يدخلون بيته (قصة عائشة وعلاقتها بصفوان وحديث الأفك) فعاد إلى

سياسة الكبت ، ولكن على حساب المراة فقط ، فأمر بالحجاب ، ورجم الزانية وحبسها في المنزل حتى الموت .

الرجوع إلى سياسة (الكبت من طرف واحد) بدأه النبي عندما أخذ المستوى الخلقي في المجتمع الإسلامي يتدنى ويتدهور إذ ذاك استنزل الوحي وخاطب المؤمنين قائلا:
"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(٢٧)فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ(٢٨)لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ(٢٩) قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(٣٠)وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنْ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٣١)" (النور)

أي قلق يضج في هذه الآيات ؟!
أية غيرة تعذب محمدا صاحب هذا العدد من النساء ؟ التحلل الجنسي ، في حي التجار النابهين – أساتذة مكة ، بلغ آنذاك حدا لا يطاق ، الجنس المباح أم الحقد وصراخ الأجساد الملتهبة والمعذبة ؟ رائحة الحي الراقي تنتشر في أرجاء البلاد ، وكما في مكة كذلك في المدينة ، نساء النبي يتحرشن برجال النبي القادة والفرسان [١٥٣]، النبي يعذبه الشعور بالعجز ، و(جبريل) الوقح . المجتمع الإسلامي يصارع غرائزه . هذا حرام وذاك حلال . هذا مقبول وذاك ممنوع . النزاع يهدد أهل الحي وأحلامهم ويقلق النبي ، والمجتمعين المكي والمديني.

---

[153] عن انس قال عمر : قلت يارسول اللة انه مدحهن (يقصد نساء النبي) البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فانزل لالة آية الحجاب .. إلى آخر الحديث.

فمن ذا الذي ينقذ هؤلاء من الغرق في هذا البحر الملوث غير اللة والوحي؟
اللة الذي بعث محمد نبيا ... مطلوب منه أن يتدخل على الفور . اللة يعلم كل شاردة وواردة ، اللة (لا يخفاه شيء) ، عنده علم الأولين وعلم الآخرين ، اللة وحده الذي يحسم الأمور . اللة خبير بما تصنعون .

وقضي ربك ...
نساء النبي لا داع البحث في قضيتهن . "النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا(٦) (الأحزاب)

نساء النبي أمهات المؤمنين (؟) حلت المشكلة . امرأة النبي ليست كالنساء العاديات. هي ذات امتيازات من عند اللة وبما أنها كذلك فعذابها ، عند اللة ، يكون ضعفين ... إن لم يكن أكثر .

"يَانِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا"(٣٠) (الأحزاب)

وامرأة النبي التي تكبت ... وتستقر وتقهر الغريزة ، إلا لمحمد ، (سيد الخلق) لها عند اللة أجر ضعفا ما للمرأة المؤمنة العادية . امتياز في العذاب .. وامتياز في النعيم . المهم أن يكون النبي آمنا مطمئنا [١٥٤] ومحاطا بسرية إلهية تامة وكاملة ، أسرار بيت النبي أسرار اللة التي لا يعلمها إلا (الراسخون في العلم) .
"وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا"(٣١) (الأحزاب)
اللة والرسول اثنان لا يفترقان . من اعتدى على الرسول اعتدى على اللة . نساؤه هبة من عند اللة . تراث . شرف . كيان . سيادة.

[154] ولكننا نسأل هنا ، لماذا لم يعمر النبي ؟ لقد اعطي النبي مجدا عظيما .. ونساء عدة .. وسلطة لا تعدلها سلطة .. ورغم ذلك لم يعش أكثر من اثنين وستين عاما ! اليس "الأرتواء الجنسي" – بمعنى الأبتذال (Mustiness) – الذي حققه النبي لنفسه ، وما رافقه من الهموم العائلية (تنازع نسائه على الفراش الرسولي) والسياسة (التوفيق بين أقطاب حزبه) والقتصادية (تامين الموارد التي تكفل استمرارية الدولة الإسلامية ونجاحها) والأزمات النفسية التي مر بها ، هي التي حتمت موته المبكر ؟ وقد مات محمد عن مرض لم يعرف ؟!

من "الأرتواء الجنسي للذكر" إلى "الكبت من طرف واحد" إلى "الدكتاتورية المطلقة" . جنون العظمة (Paranoia) [١٥٥] أم الأنفصام (Schizophernia)!؟

سلطة الأسطورة والطبقة :

النبي عنده "أخبار عما يكون وأخبار عن ضمائر الناس وما يأكلون وما يدخرون ودعاؤه مستجاب لا تأخير فيه ولا خلف "[١٥٦]
يمكن لمحمد الأتصال باللة ، من دون الرجوع إلى مكاتب السكرتارية ، ساعة يشاء في الليل . في النهار . قبل الفجر وبعده . وفي كل حين . طلبه عند اللة مقبول . لا يحال إلى الدرس . من محمد إلى اللة إلى "لجنة التنفيذ الفوري" . هذا الرسول المدلل "دعا اللة أن يجدب بلاد العرب عندما اشتد أذاهم له فامسك اللة عنهم المطر حتى مات الشجر والمواشي ثم عاد النبي فسأل ربه الخصب والغيث فلبى سؤاله وكتب النبي إلى كسرى يدعوه إلى الإسلام فمزق كسرى كتابه فدعا النبي سائلا اللة أن يمزق ملكه كل ممزق "فمزق اللة عز وجل ملكه وجز أصله وقطع دابره "

ماذا يقول القس ورقة بن نوفل؟
ماذا يقول نصارى مكة ؟
اولئك لم يجرؤوا على قول شيء .

عبيد اللة بن جحش عاد إلى نصرانيته . محمد (النبي) ود لو قطع له عنقه . محمد دعا اللة أن يأتيه بزوجة عبيد اللة ابن جحش فأتاه بها على جناحي (عفريت) من عنده . قال له اللة : يا محمد أنكحتك "ام حبيبة" لأنك لم تستطع ضرب عنق زوجها المرتد ... الكافر.

---

[155] Paranoia , a disorder that doctors often consider a type of Schizophrenia , may also be present separately . Such persons show (megalomania) or an exaggerated degree of self love . They believe that other people act hostile and persecute them . However unlike the paranoid Schizophernics persons suffering from paranoia seen to be able to behave properly > (W.B.E. Volume 13 P.331)

[156] الجاحظ حجج النبوة (آثار الجاحظ) ص ٢٦٢ .

النبي ، هذا الدكتاتور المطلق ، حكمه مبرم . أمره نافذ ز كلامه بمنزلة كلام اللة . له سلطة الأسطورة ، وسلطة الطبقة .

العلم يزيل سلطة الأسطورة . العلم ... ممنوع على المسلم . الثورة الإجتماعية تزيل سلطة الطبقة . الثورة الإجتماعية محرمة على المسلم .

" ... وقبل الهجرة أكرمه اللة بالإسراء والمعراج ، إذ نام يوما بمكة بعد أن صلى العشاء والآخرة وقبيل الفجر أسرى به على البراق إلى بيت المقدس فوجد هناك ابراهيم وموسى وعيسى وعددا من الأنبياء معهم ، فصلى بهم ، ثم عرج به إلى السماء حيث رأى من آيات ربه الكبرى ما رأى ، وفرضت عليه الصلاة فكانت خمسين صلاة في اليوم ثم سأل ربه التخفيف فوضعها عنهم إلا خمس صلوات في كل يوم وليلة فمن أداهن إيمانا بهن ، كان له أجر خمسين صلاة مكتوبة " [١٥٧]
سلطة الأسطورة تأمرك أن تصدق . الدكتاتور محمد قال . الدكتاتور واللة اثنان لا يفترقان . القول ، إذن منسوب ، بعلم الكلام إلى اللة . من لم يصدق فهو غير مسلم بل كافر يستحق القتل [١٥٨].

"وحدث رسول اللة صلعم أبا جهل أيضا بما جرى فقال ابو جهل : يا بني كعب بن لؤى هلموا فاقبل عليه كفار قريش ، فأخبرهم الرسول الخبر فصاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وإنكارا ، وارتد ناس ممن كان آمن به من ضعاف القلوب . وسعى رجال إلى أبي بكر رضي اللة عنه فقال : إن كان قال ذلك فقد صدق ، قالوا : أتصدقه على ذلك ؟ فقال : إني أصدقه على أبعد من ذلك فسمي من ذلك اليوم صديقا " [١٥٩]

سلطة الطبقة تأمرك أن تصدق .

---

[157] محمود شاكر ، المصدر السابق ، ص ١٢٩.
[158] لماذا صلب المسيح ؟ لماذا صلب الحلاج ؟ المسيح لم يعط سلطة الطبقة . اليهود قدموه الى الصلب بتعنت . لم يوجد أحد يدفع عن المسيح جلاديه . الحلاج أيضا لم ينفعه اصدقاؤه يومذاك ، لأنهم فقراء لأنهم بدون نفوذ بينما محمد لم يستطع أحد ضربه بكف ؟
[159] المصدر السابق.

صدقه أبو بكر فنال السلطة .

صدقه عمر بن الخطاب فنال السلطة .

صدقه عثمان بن عفان فنال السلطة ... وتولى "حفظ" القرآن ليجمعه ويحرفه على هواه .

صدقه علي بن أبي طالب فخسر قسما كبيرا من فلسفته ووهجه ، ومات مغدورا وهو يصلي.

أما الذين كذبوه فأولئك لهم العذاب من ربهم ، وفي جهنم يحشرون .

إذا كنت تريد أن تعيش كريما ، محمود السيرة ، رجل خير، رجل اللة ، ومسموع الكلمة عليك أن تصدق ، محمد ادعى الإسراء . لا . محمد أسرى به .

سلطة الأسطورة . سلطة الطبقة . حوافر البراق. عقد كريم وشهادة خلاص . في عنقك أنت المسلم المؤمن الطائع .

سم امرأتك "البراق" يرزقك اللة أولادا صالحين .
سم سيارتك "البراق" تسلم من الصيانة والميكانيك .
سم حبيبتك "البراق" تسعد
سم قلمك "البراق" تصبح عبقريا لا يبارى
يا سلطة الأسطورة ،
يا سلطة الطبقة ،
حوافر البراق علقوها في عنقي ، حوافر البراق حطمها عنقي .

رحلة إلى مكة القس:

هل ينفع الرجوع إلى "قس ونبي" ؟
لنأخذ البراق ... ونسافر إلى حيث "أبو موسى الحريري" يبحث وينبش عن الأسرار.
يا سلطة الأسطورة ،
يا سلطة الطبقة ،
"أبو موسى الحريري" يقول :

" لقد عظم على المتدينين أن يروا وراء النبي غير اللة ، أما لاحق فيقضي علي بان أعطي للتاريخ دوره ، وبأن أرى اللة يستعمل البشر واسطة بعضهم لبعض للوصول إليه . ولن أكون بذلك أقل إيمانا منهم . وغالبا ما يخفي التاريخ من على صفحاته دور البطل الأساسي ، ذلك لكي يبقى فاعلية السحر ورهبة السر. وبطل الإسلام هو القس ، واسمه في التاريخ ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي . عرف بانقطاعه عن الناس وبخلوته بربه ، فحفظ له التاريخ انقطاعه وخلوته . واخشى فيما اخشى أن أقطع عليه خلوته هذه ، فأظهر ما ود التاريخ إخفاءه . لا بأس ، فإن من يتحمل ظلمة غار حراء يتحمل ثقل الكلام عليه ... جل ما ابغي ألا أترك النبي معلقا بين الأرض والسماء ، لا أصل له ولا أساس ، ولو اضطربت بذلك طمانينة المؤمنين "

الفركة رائعة . أليس كذلك ؟

تعالوا نطرح الصوت :

محمد بن عبد اللة بن عبد المطلب ، النبي العربي كان على دين الصابئين ، على دين أبيه عبد اللة ، درس على أسقف مكة ، القس ورقة بن نوفل ، الإنجيل العبراني وسمع منه الأخبار ، وأخذ عنه الطقوس والتقاليد النصرانية :

(١) الزهد والنقطاع : "يقومان على ترك ما في الدنيا من مباهج وطيبات ، واعتبار الدنيا بحسب تحديد الغزالي فيما بعد ، كلا شيء ، طمعا أو رغبة في لقاء اللة بأيد نظيفة من علائق المادة "(ص٤٣)
(٢) التحنث والتحنف : "يقومان على التفكر باللة وحده والتعبد له ، وإقامة أعمال الروح من صلاة وتامل وتهجد وهذيان وقراءة كلمة اللة في كتبه المنزلة ، وسماع تفسيرها من مرشد خبير يساعده في معراجه الروحي ، والأعتكاف على شرحها وتأويلها وتفصيلها مع من يمكنه ذلك " (ص٤٣)[١٦٠]

[160] قيل في مواضع تحنث محمد بأنه كان يتعبد قبل النبوة بشرع ابراهيم وقيل بشريعة موسى وقيل بكل ما صح انه شريعة لمن قبله (السيرة الحلبية) . و"الصابئون " هم النصارى القائمون على احكام موسى وعيسى ، او احكام التوراة والإنجيل . لا يزال في جنوب العراق بقايا لهؤلاء والسيدة التي قالت لي : "ان ورقة بن نوفل كان على دين الصابئين " على حق.

(٣) الصيام : "قدوة بصوم موسى وايليا على جبل حوريب وصوم عيسى في برية الأردن وصوم الأباء الأولين ، كان محمد يقضي شهره في الأنقطاع عن الأكل أو في أكل وجبة واحدة في اليوم ، وفي الأقتصار بهذه الوجبة على المآكل الخفيفة من الأعشاب والثمار والألبان وكسر الخبز اليابسة والنباتات التي يلتقطها من الصحراء ويأكلها ، لا للتنعم بطعمها بل لسد جوعه وحاجته الغذائية الماسة " [١٦١]

(٤) أعمال البر والإحسان : " لم تخل خلوة النبي من عمل الحسنة تجاه من يراه بحاجة اليها " و"هو الذي ذاق مرارة البؤس والحرمان منذ صغره ، وهو الذي تعلم على جده وعمه ونسيبه قس مكة أن يكون شفوقا بالمساكين عطوفا على المحتاجين وسخيا في العطاء " (ص٤٤)

(٥) شهر رمضان : "هو شهر الخلوة والصيام والصلاة والتعبد ، فيه كان النبي يعتكف في غار حراء ، وفيه كان يحظى بنعم اللة ، وفيه كان يتحنث ويتفكر باللة ويتأمل في كتبه المنزلة . انه شهر الهدى الذي نزل فيه الوحي تلطفا . لقد كان رمضان ، قبل التشريع القرآني شهر صيام نصراني " [١٦٢]

(٦) الطواف في البيت : "في نهاية شهر الخلوة والصيام كان ينزل محمد من على جبل حراء [١٦٣] ويذهب الى بيت اللة للشكران والأحتفال بالعيد فيطوف الكعبة سبع مرات ثم يرجع الى بيته وزوجته مطمئنا متمما واجبه المقدس " [١٦٤]

بعد هذه المقومات ، مقومات خلوة غار حراء ، كنيسة مكة ، التي دربه عليها أساتذة ، الأسقف ورقة بن نوفل ، كما تدرب موسى على اخناتون [١٦٥]، ماذا حدث ؟ الذي حدث بالتمام عملية

---

[161] ص ٤٣ - ٤٤. "عرف عن محمد أنه كان يتزود لصيامه الكعك واللبن " (السيرة الحلبية)

[162] الى ذلك أشار القرآن بقوله : "ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم " البقرة

[163] حراء كان جبل يقع في شمال شرقي مكة يعرف بجبل النور ، فيه غار كان النبي يتحنث فيه قبل بعثه ، وبات فيه قبل هجرته الى المدينة يصحبه ابو بكر .

[164] كذلك كان يفعل النصارى بعد صيامهم الأربعين ، كانوا يحتفلون بعيد الشعانين ويطوفون حول كنائسهم سبع مرات . كذا في الأصل.

[165] وللديانة المصرية فضل كبير على النبي موسى وديانته التوحيدية حيث ان موسى كان واحدا من كهنة الإله آتون ورجلا بارزا في البلاط المصري وقد خرج هذا النبي بعد ان مات اخناتون (١٣٧٥-١٣٥٨ ق.م.) واخرج رجال الدين والحكم بعده الديانة المشركة الأولى فوجد موسى ان

استقلال عن ورقة . التلميذ ، محمد يغادر مدرسة الأسقف إلى الأبد لينشيء دينا جديدا . المسؤولية كبيرة ، كبيرة جدا ، الدرب محفوفة بالأخطار ، هو يريد أن يقدم لكنه خائف ، خائف من الفشل . خائف من أن يكذبوه . هل تصدقه زوجته خديجة ؟ هل تشتري هذه المراة بمالها ، المؤمنين ؟ ماذا يقول للناس؟
شريط سيرته امام عينيه مواج ، الطفل المسحوق يتهيا للجلوس على العرش . من الذي يحمله إلى فوق ؟ من الذي يدفعه زعيما على مكة ؟ ((زهرات قريش)) لم يتمتع بهن ! أثرياء مكة يجب أن يأتوه صاغرين . لا نصرانية في مكة بعد اليوم . ((المعلم) ورقة بن نوفل يجب عزله . غار حراء لن يبقى كنيسة . غار حراء بيت الوحي يدعى ، لأجل الذين ماتوا جوعا سيخضع أشراف مكة لإرادتي ، لأجل اليتامى والمساكين وأبناء السبيل أدعو نفسي نبيا . لينته زمن الصنمية . اليهود يطردون من الجزيرة .

عقل محمد يضطرب من جديد.

إرهاصات .... كان منها جزعا ، نوبات عصبية شديدة كانت تنتابه ، خشي ان يكون الشيطان مسببا . ولطالما كانت قسماته ترتجف ، ووجهه يتربد ، ويتصبب منه العرق في الأيام الباردة ، ويصاب بالأغماء ، ويغط كغطيط البكر .ويسمع عنده دوي كدوي النحل ، ويطلب من زوجته أن تلفه بثياب دافئة ليذهب عنه الروع . رؤى واحلام . ظن نفسه جنيا أو شيطانا [١٦٦]

خديجة تهرع الى ابن عمها القس ،
يا ابن عمي جئت اسألك في أمر عظيم : محمد اضطرب عقله ، يكلم اللة ! ينثر ادبا رائعا كانه الشعر ، يقول : سأطرد اليهود ، ساحطم الأصنام ، سأنقذ جياع مكة من اولئك الذين لم تعرف قلوبهم الرحمة ، اليوم أبعث نبيا ! [١٦٧] يا ابن عمي ماذا عندك تقول ؟

عليه ان يفتش له و لأتباع هذه الديانة من المصريين وبقايا الهكسوس في مصر عن مكان جديد فاتجه صوب ارض سيناء مبشرا بهذه الديانة وفارا من حكم ديانة مشركة وقائدا لقوم موحدين . (انظر خزعل ماجدي . المصدر نفسه)

[166] ص ٤٥: عن ابن هشام ١\٢٢٠-٢٢٣، صحيح البخاري ١\٢٣، ٣١ صحيح مسلم ١\٩٨، طبقات ابن سعد ١\١٩٨، السيرة الحلبية ١\٢٦٧، المكية ١\١٨٣، ١\٢٨٢.

[167] الا تصنع العصبية الشاعر كما تصنع النبي؟ (انظر جورج لابيكا : السياسة والدين عند ابن خلدون ، المصدر نفسه ص ١٣٥)

خديجة تبكي وتولول ، صوتها خفت ،
ورقة يبتسم ، كفه على رأس المرأة المروعة ، المراة العارفة .
"قدوس قدوس . والذي نفس ورقة بيده ، لئن صدقتني يا خديجة ، لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ، وانه لنبي هذه الأمة ، فقولي له فليثبت " [١٦٨]
الأحداث تتسارع ومحمد يسابق الزمن .
خديجة أيدته ، خديجة استقطبت له الأثرياء ، فدخل عمال النقليات – رجال أصحاب الإبل – في الإسلام أفواجا أفواجا .

من على جبل الخلوة والصلاة ، جبل حراء ، نزل محمد في نهاية شهر رمضان ، أتى الكعبة ليطوف بها سبع مرات . القس كان هناك . سأله المعلم المتواضع : يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت " فأخبره رسول لالة باطمئنان العارف بمشيئة اللة ، قال القس : "والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه . ولئن انا ادركت ذلك اليوم لأنصرت اللة نصرا يعلمه " . ثم أدنى رأسه منه وقبل يأفوخه . ثم انصرف محمد إلى منزله مطمئنا " [١٦٩]

مكة تتلقى الأعلانات ... الواحد تلو الآخر .

مكة تغلي . تردد : كتاب من اللة دفعه جبريل إلى محمد قائلا له : أبشر يامحمد أنا جبريل وانت رسول هذه الأمة .
محمد يذهب برفقة أبي بكر إلى الأسقف طالبا منه تفسير ما يعرض له من نوبات وإرهاصات ، فهو لا يدري من أين هي وممن هي وما معانيها . وأخبره مسترشدا : " إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي : يا محمد ، يا محمد ، فأنطلق هاربا إلى الأرض " وراح القس يرشده وينصحه ويهدئ من روعه ويطمئن نفسه في قوله : "لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني " [١٧٠]

[168] ص ٣٨ : عن ابن هشام ١\٢٢١، الحلبية ١\٢٦٢، ابن سعد ١\١٩٥.
[169] عن ابن هشام ١\٢٢١، الطبري ٢\٤٩، الحلبية ١\٢٦٣
[170] ص ٥٦، عن السيرة الحلبية ١\٢٦٣

وظل محمد يتردد على القس (الأسقف) والرسالة تهز النفوس والمشاعر . محمد نفسه كان يأتيه البرد ، خديجة تزمله بالثياب الدافئة . وإذ يعود الرسول إلى وعيه ليجد خديجة الى جانبه ليسترشدها ، وعند خديجة الخبر اليقين : " كلا أبشر فواللة لا يخزيك اللة ابدا ، انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل لغيرك ، وتكسب المعدوم وتقري الضعيف ، وتعين على نوائب الحق ... " [١٧١]
القس ، الأسقف ، صنع نبيا ، لكنه لم يصنع خليفة ، القس يقلد اخناتون .
يا ابن اخي ، ماذا ترى ؟ سأل القس محمدا .
محمد يقول : " أمرني جيريل ان ابشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب " [١٧٢]

التفت القس إلى خديجة يقول : " نعم ، لم يأت رجل بما جئت ألا عودي " [١٧٣]
ماذا في مكة ؟

مكة تتمخض عن نبي عظيم ، عن بطل .

الذين أدركوا اللعبة قالوا : هو إما شاعر وإما ساحر وإما كاهن وإما مجنون ، وكما موسى كما محمد .

أشراف قريش من كل قبيلة اجتمعوا قبل غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، دعوا محمد ليكلموه ، ولما جاءهم قالوا له :
"فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث ليكلموه ، ولما جاءهم قالوا له :
فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا ، وان كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي يأتيك رئيسا قد غلب عليك ، فربما كان ذلك بذلنا لك اموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك " [١٧٤]

جنون العظمة (Paranoia) يحبس على هؤلاء الأنفاس .

---

[171] ص ٥٨ ، عن صحيح مسلم ١\٩٧-٩٨، الحلبية ١\٢٦٧.
[172] ابن هشام ، القصب هنا : اللؤلؤ المجوف حسب تفسير ابن هشام .
[173] ص ٥٩ عن الحلبية ١\٢٦٣-٢٦٧.
[174] ابن هشام : مختصرة ١٣٠.

محمد ، هذا الخارق (Paranormal) يتآكله حب السيطرة (self – assertion) . يتعالى . يتجاهل ما قالوه .

النقد ، هنا ، وفي كل مكان من هذا الكتاب ، لا يعني الهدم أو التجريح . (إن نقد الدين هو الشرط الأولي لكل نقد) حسبما قال ماركس .

لقد دخلنا (قناة النار) لنتظهر من خلالها ، وننتقل من (القديم إلى الجديد) من (التسليم الى التفكير) من (الموروث الى النقد)

محمد ذو الأعصاب الملتهبة يتأمل أشراف قريش ، يدقق في عيونهم ، يفك اسرارهم بجنون ز محمد العبقري . المتمسك بمبادئه الجديدة . (الصابء) الذي لم يرتد قال لسائليه :

"ما جئت بما جئتكم به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن اللة بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا ، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فإن تقبلوه مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر اللة حتى يحكم اللة بيني وبينكم " [١٧٥]

محمد لا يثق بسائليه فكيف يطلب منهم ما قد عرضوا عليه؟ جنون العظمة أن يتكبر عما جاؤوا يقدمون له . هو يريد الملك ، ويريد النساء ، والمال ، والزعامة المطلقة . لا عن طريقهم طبعا وإنما عن طريق اللة العلي القدير ، وبالتخويف من النار . اوسيلة التي لا يخيب . محمد يعلم أن لو أخذ منهم قبل فجر اليوم التالي . هذا إن لم يقتلوه . محمد لا يريد الأستشهاد . لم ينس ما خبره عنهم . أحال الأمر إلى اللة . "اللة يؤتي الملك من يشاء" و "يذل من يشاء".

وراح اللة يطاردهم أينما رحلوا وحلوا . نكد عيشهم . أقلق بالهم . أمحل أرضهم . قطع عنهم الغيث . أرسل عليهم الذباب . وسخر الرياح ، والوحوش ، والطيور ، والأفاعي ، والثعابين . ظل يلاحقهم . جعل ليلهم نهارا . ونهارهم ليلا . شتاؤهم صار صيفا . وصيفهم

---

[175] ابن هشام مختصرة : ص ١٣١

شتاء . ولما نفذ صبرهم جاؤوا محمدا يقولون : صدقناك . صدقناك . لا إله إلا اللة . محمد رسول اللة بعثه إلينا نبيا ورحمة وسلاما وعدلا . وإنا لمؤمنين .
إذ ذاك دعا الرسول اللة أن يتوقف عن مطاردتهم فتوقف ، وعاد كل من مكانه وصار النبي (أولى بالمؤمنين من أنفسهم)
سلطة الأسطورة سلمت لنا !

" عن علي بن أبي طالب قال : "لما سمع محمد النداء : قل أشهد ان لا اله الا اللة وان محمد رسول اللة . قال محمد : لبيك ، ثم قال : قل الحمد للة رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، لما سمع محمد ذلك اضطرب وقام واتى القس وذكر له ما سمع ، فقال ورقة "أبشر ثم أبشر ، فإني أشهد إنك الذي بشر بك ابن مريم . فإنك على مثل ناموس موسى ، وإنك نبي مرسل . وإنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك ولئن ادركني ذلك لأجاهدن معك" [١٧٦]

سلطة الطبقة أكدها وكرسها فيلسوف وأديب بليغ .

ما أصعب أن يأتي هذا الكلام عن فيلسوف مثالي؟

علي تزوج نساء شتى ، أنجب أولادا قاتل بعضهم البعض الآخر .

علي شارك في سلطة الطبقة وشارك في سلطة الأسطورة . علي أسهم في تأليف القرآن وكتابته [١٧٧] . تنازل عن الفصول التي كتبها ، أعطاها لمحمد . محمد وعده أن يكتب إلى المسلمين قبل موته ، يوصيهم به إماما وخليفة من بعده . محمد مات ولم يجرؤ على كتابة الوصية [١٧٨]. تصدع الإسلام بعد محمد . تناثر شيعا واحزابا .

---

[176] ص ٥٩ ، عن الحلبية ١\٢٦٩

[177] "كان كتاب الوحي والكتب والعهود : على بن ابي طالب وعثمان بن عفان وعمرو بن العاص ومعاوية بن ابي سفيان وشر حبيل بن حسنة وعبد اللة بن سعد بن ابي سرح والمغيرة بن شعبة ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وحنظلة بن الربيع وابي بن كعب وجهيم بن الصلت والحصين النميري " (اليعقوبي ، المجلد الثاني ، ص ٨٠)

[178] لما احتضر رسول اللة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، قال النبي : هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ، فقال عمر : ان النبي قد غلبه الوجع وعندكم القرآن وحسبنا كتاب اللة ، (دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ، حسن الأمين ، عن صحيح البخاري الجزء الرابع) . والملحوظ ان محمدا كان يخاف عمر بن الخطاب ويكرهه ويرتابه .

على ضريح النبي :

قبل انتهاء الرحلة المباركة يجب أن نقف على ضريح النبي ، لنقول له كلمة مخلصة وصادقة . ونرجو من سيد العالمين لو يسمع بهدوء وروية .

لو تفرغ علي للتفكير والفلسفة ، وترفع عن السياسة ، لأنسن الإسلام ، وانقذه من الترهات التي جاءته من كل مكان .

من وحي الرحلة ، ام من وحيس القس ؟

من وحي موسى ، ام من وحي اخناتون ؟

من وحي الضريح الذي يشع نورا أم من وحي الجنون والعبقرية ؟

أطلال نحاول أن نبعث فيها الحياة !

لكن ابو موسى الحريري يقول :
"والأجدر القول : إن النصرانية والإسلام دين واحد باختلاف الأسم . أو قل : إن الإسلام هو الأسم العربي للنصرانية وهذا هو المعنى الحقيقي لدين إبراهيم الحنيف الذي يقوم أولا وآخلا على رفض الشرك على القول بوحدانية اللة المطلقة " (ص١٠٥)

حياك اللة أيها المسافر إلى غار حراء !

البراق على ضريح صاحبه يحمحم . تراه هل يسمعه ؟

كلمة أخيرة :

"أوجه الشبه بين القرآن وما سبقه من كتب : كالتوراه والإنجيل ، الرسمي منها والمنحول ، ومن تقليد شفهي تناقلته ألسن الناس ، وهي تفصل أخبار الأقدمين وتيسرها ، ومن تراث نسجت مخيلة الشعوب حوله قصصا وأساطير ، نمت وانتشرت سريعة دون رقيب من منطق او ضمير . وكان لهذه المخيلة الدور الكبير في طقوس الأديان عامة وفي معتقدات المتدينين " (ص١٢١)

فصول [١٧٩] أخشى عليها من الخدش ، تركتها للقارئ على أمل أن يسعى في الحصول عليها .

أيها المؤلف العزيز ،
ذكرتنا بالمرحوم الدكتور طه حسين وقوله :
"ليس من اليسير ان نفهم أن الناس قد أعجبوا بالقرآن حين تليت عليهم آياته ألا تكون بينهم وبينه صلة ... وليس من اليسير أن نفهم أن العرب قد قاوموا القرآن وناهضوه وجادلوا النبي فيه إلا أن يكونوا قد فهموه ووقفوا علي اسراره ووقائعه . وليس من اليسير ، بل من الممكن أن نصدق أن القرآن كان جديدا كله على العرب ، فلو كان كذلك لما فهموه ولا وعوه ولا آمن به بعضهم ولا ناهضه وجادل فيه بعضهم الآخر ... " [١٨٠]

فهلا ذكرت أو تذكرت سلمان الفارسي وأبا ذر الغفاري وصهيب الرومي وبلال الحبشي وجميع الذين خدموا سلطة الأسطورة حتى طحنتهم العروبة (القرشية) وسلطة الطبقة سيدة الحي الراقي في مكة ؟

لقد قال الترمذي : "الملك في قريش والدين في الأنصار "

مسكين أسقف مكة ، القس ورقة بن نوفل ، زرع وردة على جبل حراء وما علم أنها تحولت عوسجة بالإضافة إليه وإليه مذهبه وعقيدته .

---

[179] هي في خمس موضوعات : ١- في المسيح وامه والروح القدس ، ٢- في الفروض والعبادات وشعائر الدين ، ٣- في الحسنات والصدقات ، ٤- في الجنة والنار ، ٥- في امثال الإنجيل القرآنية . الى مثلها سبقه الأستاذ الحداد في سلسلة كتب : "مدخل الى الحوار الإسلامي المسيحي " ، "القرآن دعوة نصرانية " ، القرآن والمسيحية " ، "نظم القرآن وكتاب : اعجاز القرآن " . وقبل الأستاذ الحداد ، المرحوم انطون سعادة في "الإسلام في رسالتيه المسيحية والمحمدية "

[180] ص ١٨٦-١٨٧، عن الدكتور طه حسين "في الأدب الجاهلي" ، دار المعارف مصر ١٩٤٧، ص ٧٨.